الشباب والثقافة المعاصرة

رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي

عبدالله أحمد اليوسف

الشباب والثقافة المعاصرة

رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾

سورة الكهف، الآية: ١٣

المقدمة

تعد شـريحة الشـباب من أكثر الشـرائح الاجتماعية تأثيراً وتأثراً، فهي كشريحة في عنفوان عطائها وحيويتها وقوتها تستطيع أن تؤثـر في كل مكونات المجتمـع الأخلاقية والثقافية والعلمية والمعرفيـة والاقتصاديـة والسياسـية وغيرهـا مـن المكونـات والأبعاد التي تصوغ كيان المجتمع.

وهي شريحة سريعة التأثر بكل ما يدور حولها من تطورات علمية وتكنولوجية وتقنية ومعرفية وثقافية، فهي الأسرع استجابة للمتغيـرات، والأقدر على التفاعل مـع كل جديد، والأكثر قدرة في التكيف مع المتغيرات الزمانية والمكانية.

والشـباب بما يملكون من طاقات ومواهـب وإمكانيات، وبمـا يتميـزون بـه مـن قـدرات عقليـة وعلميـة وعمليـة، وبمـا يتصفـون بـه مـن سـمات نفسـية وأخلاقية قـادرون علـى صنع التغييـر الاجتماعي، وإحداث الكثير مـن المتغيرات فيما يجري مـن حولهـم، لذلـك نلاحـظ أن كل الذيـن يصنعـون التغيير في

مختلف المجتمعات الإنسانية هم شريحة الشباب، فهم عادة من يحملون راية التغيير، ويرفعون شعار الإصلاح، وينادون بضرورة التحديث والعصرنة.

ولأهمية شريحة الشباب ودورهم الفاعل في أي تغيير أو إصلاح اجتماعي، فإن الشباب يواجهون اليوم تحديات كبيرة وكثيرة ومتنوعة، وكلها تستهدف التأثير على قناعاتهم وسلوكياتهم وأخلاقياتهم، وقد عمل الغرب بكل ما يملك من تطور تكنولوجي وتقني مذهل على إيصال رسالته وأفكاره وثقافته لجيل الشباب في كل مكان، ومنه شباب العالم الإسلامي الذي أصبح يتعامل مع التقنيات الحديثة في وسائل الإعلام والاتصال على اختلاف أنواعها وأشكالها.

وبمقدار ما لتلك التطورات والإنجازات العلمية من إيجابيات وفوائد وحسنات إلا أنها أيضاً لها الكثير من السيئات والمساوئ، وقد أخذت تلك الوسائل والآليات الحديثة في التأثير على كل شيء في حياتنا المعاصرة، ومن أكثر الشرائح العمرية تأثراً بذلك شريحة الشباب التي أصبحت تلك التقنيات الحديثة جزءاً لا يتجزأ من طبيعة حياتها المعاصرة.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا:

كيف نستطيع أن نواكب هذا التحدي الثقافي والمعرفي؟

وكيف نحمي شبابنا من التأثيرات السلبية لوسائل الإعلام والاتصال الفاسدة؟

وما هي الأساليب والوسائل التي نستطيع من خلالها مواجهة أهداف وغايات الثقافة الغربية؟

وكيف يرسم لنا القرآن الكريم المنهج الرباني للوقاية والعلاج من مخاطر التحديات الثقافية والإعلامية؟

هذه التساؤلات وغيرها تحاول هذه الدراسة المختصرة الإجابة عليها ارتكازاً على معالجات القرآن الكريم وما ورد عن السنة الشريفة في ذلك.

وقد قسمت الكتاب إلى ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات.

الفصل الثاني: الثقافة المعاصرة: مصادرها ووسائلها وأهدافها وتأثيراتها.

الفصل الثالث: رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي المعاصر.

سائلاً المولى عز وجل أن يجعل في هذا الكتاب ما ينفع أحبتي وأصدقائي الشباب، منتظراً منهم إفادتي بأية ملاحظات أو أفكار أو آراء تخدم جيل الشباب، كل الشباب.

وختاماً... أبتهل إلى الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في

ميـزان أعمالـي، وأن ينفعني به في آخرتي، إنـه ـ تبارك وتعالى ـ محط الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبدالله أحمد اليوسف
الحلة- القطيف
السبت غرة رمضان ١٤٣٠هـ
٢٢ أغسطس ٢٠٠٩م

الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات

أولاً- مفهوم المراهقة

ثانياً- مفهوم الشباب

ثالثاً- مفهوم الثقافة

مفاهيم ومصطلحات الدراسة

قبل الولوج في الدراسة نفسها نتناول المفاهيم التي تناولتها هذه الدراسة لتحديد مصطلحات ومفاهيم الدراسة بدقة ووضوح.

وسنتناول المفاهيم التالية:

أولاً- مفهوم المراهقة:

أ- المراهقة لغة: راهق الغلامُ، فهو مراهِق إِذا قارب الاحتلام. و المُراهِق: الغلام الذي قد قارب الحُلُم، و جارية مراهِقة.و يقال: جارية راهِقة و غلام راهِق، و ذلك ابن العشر إِلى إِحدى عشرة؛ و أَنشد:

وفَتاةٍ راهِقٍ عُلِّقْتُها
فـي عَلاليَّ طِوالٍ وظُلَل[1]

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ج١٠، ص ١٣٠، حرف القاف.

والإرهـاق: أن يحمـل الإنسـان مـا لا يطيق. وفـي الدعاء ونصب له أمداً يرهقه بأعوام دهره؛ أي يغشاه. و فيه يجب الصوم علـى الغـلام إذا راهق الحلم؛ أي قاربه، مـن قولهم راهق الغلام مراهقة فهو مراهق: إذا قارب الاحتلام ولم يحتلم[1].

ب- **أمـا المراهقـة في علـم النفس** فتعنـي: «الاقتراب من النضج الجسـمي والعقلي والنفسـي والاجتماعي»، ولكنه ليس النضـج نفسـه؛ لأن الفرد في هـذه المرحلة يبـدأ بالنضج العقلي والجسـمي والنفسـي والاجتماعي، ولكنه لا يصـل إلى اكتمال النضج إلا بعد سنوات عديدة قد تصل إلى عشر سنوات[2].

ويعرف معجم (وبستر) المراهقة بأنها: الانتقال من مرحلة الطفولـة إلـى مرحلـة النضوج (الكمـال) خلال دورة مـن النمو التدريجـي فـي الحياة؛ توصـف بالمراهقة التـي ترافقها تغيرات عميقة في الجسم والنفس وفي القدرة على التخيل[3].

وفـي الروايات الإسـلامية، وكذلك في بعـض الكتابات، يلاحـظ أنـه قد تم التعبير عن الإنسـان فـي هذه المرحلة السـنيّة بلفظـة الحـدث. مثل قـول الإمـام أميـر المؤمنيـن علي عليه السلام: «وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية...»[4] وغيره من الروايات

(١) مجمع البحرين، ج٥، ص١٧٤.
(٢) www.saaid.net، موضوع المراهقة: خصائص المرحلة ومشكلاتها.
(٣) دنيا المراهقات، ص٢٠.
(٤) ميزان الحكمة،ج١،ص٥٦.

والأحاديث، التي تخاطب هذه الفئة، في الموروث الإسلامي.

الحدث هو بمعنى جديد، أي نقيض القديم، وجمعه أحداث، وهو لفظ يوصف به الإنسان اليافع أو الصبي قليل السنّ. وقد ورد وصفه بالشاب، وتم التعبير عن المرحلة السنّية بمرحلة الشباب في بعض الموارد على ندرة[1].

ج- سنوات المراهقة: لا يمكن حصر مرحلة المراهقة بسنوات معينة، لأنها تختلف باختلاف الأشخاص والمجتمعات، ويمكن تحديد بدايتها بشكل شبه مؤكد باعتبارها تتزامن مع البلوغ الجنسي، إلا أنه وبحسب اختلاف الظروف الثقافية والمناخية من مجتمع إلى آخر، يتعذر تحديد نهاية واحدة لهذه المرحلة في جميع المجتمعات.

ومن هنا، ومن أجل اجتناب الغموض والإبهام، فقد تم حصر سني المراهقة بين ١٣ إلى ١٨ عاماً. والجدير بالإشارة هو إن البعض ذهب إلى أن هذه المرحلة يمكن أن تمتد حتى إلى سن ٢٢ عاماً[2].

وبنظر (موريس دبس) فإن الإنسان يجتاز ما بين سن ١٢ – ١٨، وبحسب آخرين إلى سن الـ ٢٠، دورة كاملة من حياته منفصلة عن مرحلتي الطفولة والنضوج، وهذه المرحلة بذاتها لها

---

(١) دنيا الفتيات المراهقات، ص١٥.
(٢) دنيا المراهقات، ص١٨.

معاييرها الخاصة بها، وتلعب دوراً مهماً في حياة الإنسان[1].

وبرأي بعض علماء النفس والتربية: فإن سن المراهقة للأولاد يبدأ من ١٢ - ١٦ سنة، وللبنات من ١٠ - ١٤ سنة[2].

وللخروج من الاختلاف في تحديد سنوات المراهقة بالعمر والذي قد يكون ناشئاً من الاختلاف بحسب الأشخاص والمجتمعات والأماكن يمكن القول بأن المراهقة هي المرحلة الفاصلة ما بين الطفولة والشباب.

د- المراهقة في القرآن الكريم: عبّر القرآن الكريم عن المراهق بـ(الغلام) كما في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَـذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[3].

حيث أن كلمة (غلام) تطلق على كل طفل لم يبلغ مرحلة الشباب، أو لم يصل لمرحلة سن البلوغ، وهو من اجتاز مرحلة الطفولة ودخل مرحلة المراهقة ولم يدخل بعد في مرحلة الشباب.

والغلام - كما يرى الراغب الأصفهاني - الطار الشارب، يقال غلام بين الغلومة، والغلومية. قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْغُلَامُ**

(١) دنيا الفتيات المراهقات، ص١٥.
(٢) خصائص الشباب، ص٣٧.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٩.

﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾[1] وقال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ﴾[2] وقال في قصة يوسف: ﴿هَـذَا غُلاَمٌ﴾[3] والجمع غلمة وغلمان، واغتلـم الغـلام إذا بلغ حـد الغلومة ولما كان من بلـغ هذا الحد كثيراً ما يغلب عليه الشبق قيل للشبق غلمة واغتلم الفحل[4].

ثانياً- مفهوم الشباب:

أ- الشباب في اللغة:

شـب: الشـب: حجارة منها الزاج و أشـباهه، وأجودها ما جلب من اليمن، و هو شب أبيض، له بصيص شديد.

وشـبة: اسـم رجل، و كذلك شـبيب، و يجوز [استعمال] شـبة في موضع شابة و الشبيبة: الشـباب. والشباب و [الشبان]: جماعة الشـاب. شب يشب شباباً، و يشب الفرس شبوباً إذا رفع يديه معاً. والشبوب و الشبب: الفتي من ثيران الوحش[5]

وفـي لسـان العـرب: شـبب: الشَّـباب: الفَتـاء و الحداثةُ. شـبَّ يشِبُّ شباباً وشبيبةً. والاسـم الشَّبيبةُ، وهو خِلافُ الشَّيبِ.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٠.
(٢) سورة الكهف، الآية ٨٢.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٩.
(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص ٣٦٦-٣٦٧.
(٥) كتاب العين، ج٦، ص ٢٢٣.

والاسـم الشَّـبيبةُ، وهو خِلافُ الشَّيبِ. والشـباب: جمع شابٍّ، وكذلك الشُّبان.

الأَصمعي: شَبَّ الغلامُ يَشِبُّ شَباباً وشُبوباً وشَبِيباً، وأَشَبَّه اللّهُ وأَشَـبَّ اللَّـهُ قَرْنَه، بمعنى؛ والقَرْنُ زيـادة في الكلام؛ ورجل شابٌّ، والجمع شُبَّانٌ؛ سيبويه: أُجري مجرى الاسم، نحو حاجِرٍ وحُجْرانٍ؛ والشَّبابُ اسم للجمع.

وامرأَة شابَّةٌ مِن نِسوةٍ شَوابَّ. وحكى ابن الأَعرابي: رَجُل شَـبٌّ، و امرأَةٌ شَبَّةٌ، يعني من الشَّبابِ. وقال أَبو زيد: يجوز نِسوةٌ شَبائِبُ، في معنى شَوابَّ؛ وأَنشد:

عَجائِـزاً يَطْلُبْـنَ شـيئاً ذاهبـا
يَخْضِبْـنَ، بالحنَّاءِ، شَـيْباً شـائِبا
يَقُلْـنَ كُنَّـا، مَـرَّةً، شَـبائِبا

قال الأَزهري: شَبائِبُ جمع شبَّةٍ، لا جمع شابَّةٍ، مثل ضَرَّةٍ و ضَرائِرَ. و أَشَبَّ الرَّجُل بَنِينَ إِذا شَبَّ ولَده. و يقال: أَشَبَّتْ فُلانةُ أَولاداً إِذا شَبَّ لها أَولادٌ. و مرَرْت برجال شَببَةٍ أَي شُبَّانٍ[١].

وقال صاحب مجمع البحرين: (شبب) تكرر في الحديث ذكر الشباب، هو كسحاب جمع شاب بالتشديد، و كذلك الشبان كفرسان، و الأنثى شابة، و الجمع شواب كدابة و دواب.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٤٨٠.

وشب الصبي من باب ضرب شباباً و شبيبة فهو شاب، و ذلك سن قبل الكهولة. وفي الحديث: ابن ثلاثين سنة يسمى شاباً. والشباب ككتاب نشاط الفرس و رفع يديه جميعاً[1]. نستنتج من ذلك أن المعنى اللغوي للشباب يعني البروز والنماء والاستواء والتكامل.

ب- المقصود بالشباب:

هناك اختلاف بين الباحثين حول تحديد مرحلة الشباب، فنجد أن هناك اتجاهاً يميل إلى الاعتماد على البعد الزمني في تحديد هذه المرحلة؛ وقد ورد في «المعجم الوجيز» أن الشاب هو من أدرك سن البلوغ إلى الثلاثين، ويرى بعض علماء السكان أن فئة الشباب هي الفئة التي تقع أعمارها بين ١٥ و٢٥ عاماً، بينما يرى بعضهم الآخر أن هذه الفئة تقع أعمارها بين ١٥ و٣٠ عاماً، وهذا يرجع إلى اختلاف السياق الاجتماعي الذي يتم في إطاره تحديد هذه الفئة.

وقد بدأ التقرير الذي أعده المجلس القومي للجريمة والجنح التابع للأمم المتحدة في مدينة نيويورك بتحديد المقصود بفئة الشباب متعرضاً للاختلاف الكائن بين الدول في الحد الأدنى والأقصى لسن الشباب الذي يراوح بين ١٥ أو ١٨ - ٢١ عاماً، إلا أن توصية عدد من الجهات المعنية بشؤون

(١) مجمع البحرين، ج٢، ص٨٥.

الجريمة والجنح نادت برفع الحد الأقصى لسن الشباب إلى ٢٥ عاماً، وبذلك يمكن تحديد فئة الشباب بأنه الفئة العمرية بين ١٥ و٢٥ عاماً.

ومن العلماء من يحدد مرحلة الشباب في الفترة العمرية التي تراوح بين ١٥ و٢٤ عاماً، وتتميز هذه المرحلة بأنها مرحلة انتقالية إلى الرجولة أو الأمومة. ويتخطى الأفراد فيها مرحلة التوجيه والرعاية، ويكونون أكثر تحرراً، ولهذا تحتاج هذه المرحلة إلى عناية خاصة. وقد يرى بعض الباحثين أن الشباب فترة عمرية تمتد من ١٦ حتى ٢٥ عاماً، وهي الفترة التي يكتمل فيها النمو الجسمي والعقلي على نحو يجعل الفرد قادراً على أداء وظائفه المختلفة.

إلا أن وجهة النظر السابقة تستخدم إطاراً بيولوجياً في الغالب يعتمد على فكرة النضج الجسمي والعقلي، وتتجاهل حقيقة مؤداها أن الشباب يمثل حقيقة اجتماعية أكثر منها ظاهرة بيولوجية، الأمر الذي يشير إلى أن هناك اتجاهاً آخر يأخذ بمعيار النضج والتكامل الاجتماعي للشخصية.

ويميل أصحاب هذا الاتجاه إلى تحديد مجموعة من المواصفات أو الخصائص التي تطبق بوصفها مقياساً على أفراد المجتمع، بحيث نستطيع أن نميز الشباب عن غيرهم من الفئات بغض النظر عن المرحلة العمرية.

ونجد أن التصور الصحيح عن الشباب يجب أن يأخذ في اعتباره المعيارين السابقين في آن معاً، أي أن الشباب يمثل فئة عمرية في المجتمع تتسم بعدد من الصفات والقدرات الاجتماعية والنفسية المتميزة، وتختلف بداية هذه الفترة العمرية ونهايتها باختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع[1].

والتحديد [العُمري] للشباب - بحسب رأي محيط المحيط - ما بين ١٥ و٣٠ وللشابات ما بين ١٥ و٢٩، وهو ما يتمشى إلى قدر كبير يكاد يبلغ درجة التطابق مع المفهوم الدولي المستقر للشباب (١٥ - ٢٥). أما مجلس وزراء الشباب والرياضة في دول مجلس التعاون فلقد حدد الشباب في الفئة العمرية من ١٥ - ٢٤ سنة متمشياً بذلك مع مجلس وزراء الشباب العرب.

يبدو أن التحديد الدولي والعربي والخليجي يتمشى مع الدخول في مرحلة المراهقة (١٥-١٨ سنة) التي تلي البلوغ، ووصولاً إلى انتهاء المرحلة الجامعية والدخول في سوق العمل. وهي الفترة التي يكتمل فيها النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي بشكل عام.

(١) الأسرة ومشكلات العنف عند الشباب، د. طلعت إبراهيم لطفي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص ١٠-١١.

وقبل مناقشة هذا التحديد، تجدر الإشارة إلى التعريف القاموسي الأجنبي (إنجليزي،فرنسي) للشباب. قاموس وبستر على سبيل المثال، ومثله قاموس لاروس الفرنسي لا يتضمنان تسمية قائمة بذاتها للشباب، كما هو شأن اللغة العربية. إنهما يقولان بصفة الحداثة وبالاسم منها. ويذكر وبستر أن هذه الصفة تدل على الفترة من الحياة التي يكون فيها الإنسان حدثاً، أو الفترة ما بين الطفولة والرشد، أو بين المراهقة والنضج. وأن تكون حدثاً هو أن تكون غير ناضج. أما قاموس لاروس الذي يذهب نفس المذهب فيذكر أن كلمة حداثة تعني بدايات الشيء أو أوله. وهو ما أخذه عنه المعجم الوسيط تحديداً حيث يذكر أن الشباب هو إدراك سن البلوغ إلى سن الرجولة، والشباب هو الحداثة، وشباب الشيء هو أوله.

يرجع هذا التفاوت في تحديد الشباب وتعريفه إلى أنه ظاهرة محدثة عموماً للدراسة والبحث. فمن الطريف الإشارة إلى أن علم نفس النمو مثلاً لا يفرد مرحلة خاصة للشباب تدرس بحد ذاتها، كما يفعل في تفصيل الطفولة ومراحلها (أولى، وسطى، متأخرة)، وتفصيل البحث في البلوغ ومرحلة المراهقة التي تليها، ومن ثم يتم القفز مباشرة إلى سن الرشد. ذلك أنه إلى تاريخ قريب نسبياً، كان يتم الدخول في حياة الرشد في سن مبكرة عموماً، سواء في سوق العمل أو الزواج. أما الآن فلقد أصبح الدخول في العضوية الاجتماعية الكاملة؛ أي العمل

المهنـي المنتظـم والزواج والمشـاركة فـي الحياة العامـة يتأخر بازديـاد، مع طول فترة الإعالة بالتالي. سـن الـزواج ازداد خلال أقـل من عقدين عشـر سـنوات، وأصبح يدور حـول الثلاثينيات للصبيان وحول ٢٥ - ٣٠ للفتيات[١].

وقـد تـم تحديـد المقصـود بالشـباب فـي هـذه الدراسـة بالارتـكاز على التحديـد العمري لمرحلة الشـباب، وأنها الفترة العمرية التي تتراوح ما بين ١٦ - ٣٠ سنة.

ثم إن هذه الدراسـة عندما تتناول الشـباب فهي أيضاً تشير إلـى فئـة المراهقين باعتبارهـم من الشـرائح العمريـة المتفاعلة بسـرعة مـع ثـورة الاتصـال والإعـلام وعصـر العولمـة وتدفق المعلومات، وتحول العالم إلى قرية كونية صغيرة.

ج- الشباب في القرآن الكريم:

بالرغـم من أنه لم ترد كلمة (الشـباب) فـي القرآن الكريم بلفظهـا، إلا أنـه وردت عـدة ألفـاظ في القرآن تشـير إلـى معنى الشـباب، ومن ذلـك قوله تعالـى: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ**﴾[٢] والفتـى - كما يقول الراغـب الأصفهاني - الطري من الشـباب والأنثـى فتاة والمصدر فتـاء، ويكنى بهما عن العبد والأمة، قال:

---

(١) الشباب الخليجي والمستقبل، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ١٧ - ١٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٣.

﴿تُـرَاوِدُ فَتَاهَـا عَن نَّفْسِـهِ﴾ والفتـي من الإبل كالفتـى من الناس وجمع الفتى فتية وفتيان وجمع الفتاة فتيات[1].

كمـا عبّر القرآن الكريم عن مرحلة الشـباب بمرحلة القوة بيـن ضعفيـن: ضعـف الطفولـة، وضعف الشـيخوخة فـي قوله تعالـى: ﴿**اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَـلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَـيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَـاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيـرُ**﴾[2] فالإنسـان يكـون ضعيفـاً فـي طفولتـه ويحتـاج إلى المسـاعدة والرعاية والاهتمام، وهو كذلـك عندما يكبر ويكون شـيخاً عاجزاً عن القيام بأبسط أموره مما يحتاج معه إلى الرعاية والمسـاعدة والاهتمـام، أما مرحلة الشـباب وهـي مرحلة القوة فهي مرحلة العطاء والفاعلية والنشاط.

كمـا تحـدث القـرآن الكريـم عـن نمـاذج رائعة للشـباب المؤمـن، وعرف قصصهم بأسـلوب التصوير البياني الرائع، فقد أشـار القرآن الحكيم إلى قصة إسماعيل واستعداده للتضحية في سبيل الله تعالى، كما أشار إلى قصة إبراهيم عندما كان شاباً يافعاً في مواجهة الأصنام والدعوة إلى توحيد الله تعالى.

كمـا عرض قصـة نبي الله يوسـف عليه السلام وكيف اسـتطاع مقاومـة فتنـة النسـاء وتفضيلـه السـجن علـى إشـباع الغرائـز

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٣٧٥.
(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

والشـهوات. كما تحدث عـن قصة فتية الكهـف وكيف حافظوا على إيمانهم في مواجهة مجتمع منحرف.

وعندمـا يتحدث القـرآن الكريم عن نماذج مؤمنة للشـباب وبأسـلوب التصوير البياني المعجز، وبأسلوب القصة المؤثر يريد أن يبعث برسالة للشباب في كل عصر ومصر إلى أهمية الثبات على القيم والمبادئ، والتضحية من أجل قيم العدل والحق والحرية.

ثالثاً- مفهوم الثقافة:

أ- **الثقافـة لغـة**: هـي الحذق فـي إدراك الشـيء وفعله ومنه استعير المثاقفة، ورمح مثقف أي مقوم وما يثقف به الثقاف، ويقال ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ثم يتجوز به فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه ثقافة قال الله تعالى: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾ وقال عز وجل: ﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ**﴾، وقال عز وجل: ﴿**مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً**﴾[١].

وفـي مجمع البيـان قال الطبرسـي: ثقفته ثقفـاً أي وجدته ومنـه قولهم رجل ثقف أي يجد مـا يطلبه، وثقف الرجل حديدة يقوم بها الرماح المعوجة، والتثقيف التقويم[٢].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص ٨٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ج٢، ص٥١١.

وهـذا يعنـي أن كلمة (ثقـف) الواردة في الآيات الشـريفة تشـير إلى أهمية الحذق من أجل مواجهة العدو، ومنه استفيد أن الثقافة تعني الحذق وإمعان النظر في الأمور والأشياء.

ب- الثقافة اصطلاحاً: الثـقـافة مصطلح يستخدمه علماء الاجتماع للإشارة إلى طريقة الحياة الكُلية لشعب من الشعوب. وقـد تُشـير كلمـة الثقافـة فـي المحادثـات اليومية إلـى ضروب النشـاط في مختلـف الميادين مثـل الفن والأدب والموسـيقى. ولكن بالنسبة إلى علماء الاجتماع، فإن ثقافة شعب من الشعوب تشـتمل على كل ما صنعه وابتدعه من الأفكار والأشياء وطرائق العمل فيما يصنعه ويوجده.

فالثقافـة تشـتمل علـى الفنـون والمعتقـدات والأعـراف والاختراعـات واللغة والتقنية والتقاليد. ويُماثل مصطلح الثقافة الحضارة، غير أن المصطلح الأخير يُشير في الأغلب إلى طرائق الحياة العملية الأكثر تقدماً. أما الثقافة فهي أي أسـلوب للحياة، بسيطاً كان أم معقداً.

وتتكون الثقافة من الطرق التي يتعلمها ويكتسبها الإنسان للعمل، والشـعور، والتفكيـر، أكثر من كونهـا وراثية أي محددة بالمقومـات البيولوجيـة. وهناك بعض الحيوانات البسـيطة التي تتصرف على أسـاس المعلومات التـي تحملها في مورِّثاتها، أي أجـزاء الخلية التي تشـكل الصفات الوراثية. وهـذه المعلومات

البيولوجية الموروثة قد تشتمل حتى على الطرق التي يحصل بها الحيوان على الطعام والمأوى. ولكن الإنسان هو الذي بمقدوره أن يجرب وأن يتعلم وأن ينشئ أساليبه لصنع هذه الأشياء. وهذه عملية مستمرة لا تتوقف أبداً.

وقد عرّف عالم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) البريطاني السير إدوارد بيرنت تايلور مصطلح الثقافة كما يستخدمه العلماء في الوقت الحاضر. فقد عَرَّفَ تايلور الثقافة في كتابه الثقافة البِدائية بأنها ذلك الكُل المعقد الذي يشتمل على المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد، وما إلى ذلك من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع. ويشتمل هذا التعريف الذي ساقه تايلور على ثلاث خصائص من أكثر خصائص الثقافة أهمية وهي:

١ - أن الثقافة اكتساب إنساني يتم من خلال عملية تسمى التنشئة الثقافية.

٢- أن الشخص يكتسب الثقافة باعتباره عضواً في المجتمع. فالحياة الاجتماعية تُصبح مستحيلة دون وجود التفاهم والممارسات المتبادلة التي يشارك فيها الناس جميعاً.

٣- أن الثقافة كلٌّ معقد تتمثل وحداته فيما يُسمى السمات الثقافية. وهي قد تشتمل على أماكن دفن الموتى المتعارف عليها، أو بعض الأدوات والآلات، كالمحراث مثلاً، أو إيماءة،

كالمصافحة بالأيدي. وتسمى المجموعة المتقاربة من السمات الثقافية النمط الثقافي. مثال ذلك التقاليد المرتبطة بالزواج والمراحل السابقة له والتودد، وتشكل هذه المجموعة نمطاً ثقافياً محدداً.

ولمعظم الجماعات الكبيرة سماتها الثقافية الخاصة التي تلائم ظروفها وحاجاتها وتُؤَمِّن بقاءها واستمرارها. ومثل هذه المجموعة من السمات الثقافية يمكن تسميتها ثقافة. وتمتلك الأمم ومعظم القبائل، وحتى بعض القرى، الثقافة بهذا المعنى[١].

وعرّف مالك بن نبي الثقافة بقوله: «إنّها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته».

وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، وهكذا نرى أن التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان، وفلسفة الجماعة، أي (معطيات) الإنسان، و

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م،ج ٨، ص ٣٨-٣٩.

(معطيات) المجتمع، مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد، تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية، عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات.

وحين نحاول الربط بين الثقافة والحضارة، تصبح الثقافة نظرية في السلوك، أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا يمكن أن يقاس الفرق الضروري بين الثقافة والعلم[1].

فالثقافة في المصطلح الحديث تشمل كل ما يتصل بسلوك الإنسان وفلسفته وفكره، كما تشمل كل ما يتصل بسلوك المجتمع وفلسفته ونظرته تجاه الأشياء والحياة.

وعليه؛ فإن هذه الدراسة ستتناول كل ما يتعلق بالتحدي الثقافي والمعرفي في إطار هذا المصطلح الشامل لمفهوم الثقافة.

(١) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص٨٣.

الفصل الثاني

الثقافة المعاصرة

مصادرها ووسائلها وأهدافها وتأثيراتها

مصادر الثقافة المعاصرة

كانـت مصـادر الثقافـة فـي الماضـي محـدودة وبسـيطة، فالإنسـان يأخـذ ثقافتـه مـن الكتـاب أو مـن المعلم أو مـن بيئته الاجتماعيـة الخاصـة، أمـا الآن فقـد تعـددت مصـادر الثقافـة، ومنابـع المعرفـة، وأصبحنا أمام مصـادر لم تعرفها البشـرية من قبل، كوسـائل الإعـلام المختلفة، ووسـائل الاتصـال العديدة، وأصبحـت الثقافة بمختلف أبعادها تنهال علينا كالمطر ينزل من السماء، ولا يستطيع أحد أن يتحكم في مقداره وحجمه وزمانه.

وقـد تجاوب الشـباب مع هـذا التدفق الثقافـي والمعرفي مـع ما له من سـلبيات وإيجابيات، لكن الطابع السـلبي يبقى هو الغالـب على المنتجات الثقافية، وهو ما يشـكل أكبر تحدٍ ثقافي لهوية الأمة الإسلامية، وشخصية الإنسان المسلم، ولكي تتضح أمامنا حجم المشكلة، وضخامة التحدي الثقافي لشبابنا، نتحدث بشـيء من التفصيل عن أهم مصادر الثقافـة المعاصرة وهي كما يلي:

أولاً- وسائل الإعلام المختلفة:

لا أحد يستطيع أن ينكر تأثير وسائل الإعلام على شريحة الشباب، والتأثير على قناعات وأفكار الناس، وخلخلة مقومات البناء الاجتماعي، وصناعة الرأي العام، ورسم ملامح السلوك والأخلاق للجيل الجديد.

وقد تعزز دور الإعلام بصورة كبيرة في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الواحد و العشرين نظراً للتطور الهائل في التقنيات التكنولوجية العالية الدقة، وهو الأمر الذي ساهم في انتشار الفضائيات والصحف الإلكترونية وغيرها من وسائل الإعلام مما جعله متاحاً أمام جميع شرائح المجتمع؛ إلا أن المراهقين والشباب هم أكثر الشرائح تأثراً بما تبثه وسائل الإعلام من أفكار ونظريات وبرامج ترفيه وتسلية لا تخلو في معظمها من مواد محرمة.

وعندما نتحدث عن سطوة الإعلام وتأثيره فنحن نتحدث عن إمبراطوريات إعلامية قوية، ويكفي أن نعرف أن شركة إعلامية عملاقة رأس مالها ٣٥٠ مليار دولار، وهو ما يفوق الناتج القومي لكل الدول العربية مجتمعة!

«وتروي بعض الإحصائيات بأن في العالم ١٢٦٠ مليون جهاز تلفزيوني وأن سوق تكنولوجيا الإعلام قد بلغت ٧٢ بليون دولار عام

١٩٩٧م، وأنه من المقرر أن يرتفع الرقم الإجمالي لصناعات الإعلام العالمية خلال السنوات الخمس المقبلة إلى أكثر من ٢٠٠٠ بليون دولار، وهو ما يعادل ١٠٪ من الاقتصاد العالمي»[1].

وبهذا يصبح العالم بكامله تحت تأثير هذه الإمبراطوريات العملاقة، متجاوزة كل السدود والحدود، لتدخل إلى كل منزل، وكل مكتب، وكل مكان، من دون حاجة للاستئذان من أحد!

والمشكلة أن الإعلام بأغلبه هو إعلام لهوي وفاسد، ويبث ثقافة تركز على الماديات وتلغي المعنويات من قائمة البرامج، كما تركز على برامج العنف والتسلية والترفيه المحرم وهو ما يؤثر بصورة مباشرة على شبابنا وفتياتنا.

ولا يمكن مواجهة هذا التحدي الثقافي والإعلامي إلا بإيجاد وسائل إعلام هادفة وملتزمة بالثقافة الإسلامية، وهو الأمر الذي بدأ نلحظه في بعض الوسائل الإعلامية الملتزمة، لكن تبقى المسافة بينها وبين الإعلام اللهوي مسافة كبيرة، ومن الصعب تقصيرها.

ولإضاءة المزيد من الأضواء على الوسائل الإعلامية المؤثرة نشير إلى الوسائل التالية:

---

(١) الإعلام عالم، عبد الله زنجير، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٦٩.

١- القنوات الفضائية:

من أكثر وسائل الإعلام تأثيراً في عالمنا المعاصر القنوات الفضائية، وذلك بسبب تنوعها وقدرتها على جذب المشاهدين، فأصبح التليفزيون جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان المعاصر.

فقد نقلت مجلة الأمة، العدد ٥٨، عن إحدى الإحصائيات أنه ما بين عامي ١٩٥٠م و ١٩٧٥م أصبحت النسب المئوية للزيادة في وسائل الإعلام على النحو التالي:

الصحافة ٧٧٪، الراديو ٤١٧٪، التلفزيون ٣٢٣٥٪، الكتب ١١١٪، وهكذا نجد تفوقاً ظاهراً لجهاز التلفزيون على كل ما عداه من وسائل، مما يعني عدم إمكانية اعتزالنا لحضارة العصر من خلال التخلي عن هذا الجهاز الذي تلقفه الإعلام الآخر وجعله وسيلة عظيمة لطرح أفكاره وثقافاته وشعاراته المختلفة[١].

والمشكلة أننا نستورد معظم مادتنا الإعلامية والثقافية من الغرب، فبالرغم من تزايد عدد القنوات الفضائية العربية إلا أنها تعتمد بدرجة رئيسة على المواد المستوردة من العالم الغربي، فقد ذكرت إحدى الدراسات عن حاجة القنوات العربية لبث

---

(١) الإعلام عالم، عبد الله زنجير، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٤٠ - ٤١.

أكثر من ٣٠٠ ألف ساعة سنوياً، في حين أن الإنتاج التلفزيوني والسينمائي بمختلف أشكاله، من الرياضة إلى البرامج الدينية مروراً بالأعمال الدرامية لا يغطي أكثر من ٢٥٪ فقط.

وهذه التغطية شبه منفصلة عن البحث العلمي، بل وتساهم في تكريس التوجه الاستهلاكي للإنسان العربي والمسلم.

وتؤكد بعض بحوث اليونسكو أن التلفزات العربية تستورد من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا بحدود ٦٠٪ من مجموع البرامج، ويبقى ٩٠٪ من هذه البرامج التي تعرض عبر الفضائيات العربية لتجسيد موضوعات تتعلق بالعنف والإدمان على المخدرات والشذوذ الجنسي وطمس التاريخ وعولمة القيم الخاطئة.

وتقدر نسبة البرامج المخصصة للشباب والأطفال تحديداً بـ٣,٥٢ في المتوسط، ولا يتعدى مؤشر مجموع البرامج الثقافية درجة ١٠- ١٥٪[1].

وبنظرة سريعة على القنوات الفضائية العربية لن تجد في أغلبها سوى برامج الترفيه والتسلية، ومسلسلات وأفلام الحب والعلاقات العاطفية، في حين تغفل هذه القنوات عن أية قضايا رئيسة تهم الشباب، أو تشغل مختلف شرائح المجتمع.

---

(١) الإعلام عالم، عبد الله زنجير، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٥٤ - ٥٥.

وللأسف الشديد فقد تحولت معظم القنوات الفضائية إلى سباق محموم في عرض البرامج الخادشة للحياء، والمثيرة للشهوات والغرائز، والمحفزة لهوى النفس، وتسويلات الشيطان الذي يزين الباطل ليبدو وكأنه شيء جميل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾[1] ومن صور هذا التزيين للباطل القول بأن: الرقص تعبير عن مشاعر الجسد بفن رائع!

والأغاني المبتذلة فن جميل يعبر عن الأحاسيس والمشاعر المرهفة!

وإقامة العلاقات العاطفية بين الجنسين بأنه تحضر ودليل على التقدم والعصرنة والحداثة!

وكشف المفاتن البارزة عند الجنس الناعم بأنه يتماشى مع قواعد العصر والدخول في الألفية الثالثة!

وهكذا تلعب القنوات الفضائية بعقول وقلوب المراهقين والشباب، لتوصلهم إلى طريق لا يمكنهم الخروج منه بعد الغرق في بحر الشهوات والملذات غير المشروعة.

وقد حمل القرآن الكريم الإنسان مسؤولية كل تصرفاته وسلوكياته وأفعاله كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ**

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـؤُولاً﴾[1] فعلى الشـباب التفكير فـي عواقب تصرفاتهم، وأنهم محاسـبون في يـوم الدين عن كل سـلوكياتهم، في يوم لا ينفع فيه إلا العمل الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[2]، و القلـب لا يمكـن أن يكون سـليماً إلا أذا عاش وترعرع في أجواء إيمانية، أما القلب الذي لا يفارق سـماع الأغاني الهابطة، ومشاهدة الأفلام المبتذلة، فإن قلبه سيكون سقيماً.

٢- الإذاعات المسموعة:

ظهـرت الإذاعة المسـموعة في الوطن العربـي في فترات مختلفـة وفـي ظـروف وأوضـاع متباينـة، ففـي بعـض الأقطار، ظهرت الإذاعة بمبادرات فردية من قبل بعض المهتمين بهندسـة الراديو، وظهرت في بعض الأقطار على يد القوى الاسـتعمارية التي أوجدتها أساساً لتحقيق أهداف عسكرية أو استراتيجية، في حين لم تظهر في أقطار أخرى إلا غداة استقلالها.

وتعتبـر الجزائر ومصـر أولى الأقطار العربيـة التي عرفت الإذاعـة المسـموعة فـي حوالـي عـام ١٩٢٥م، وظهـرت فـي الحالتين علـى يد أفراد، وإن اختلفت بالطبـع، ففي الأولى على يد مسـتوطنين فرنسيين، وتم بث إرسـالها باللغة الفرنسية، وفي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨-٨٩.

الثانية على يد مواطنين مصريين، وبثت موادها باللغة العربية.

وفي عام ١٩٢٨م عرفت المغرب الإذاعة المسموعة على يد الاحتلال الفرنسي. وفي النصف الثاني من عقد الثلاثينيات توالى ظهورها في عدد من الأقطار العربية: في تونس عام ١٩٣٥م، والعراق عام ١٩٣٦م، ولبنان عام ١٩٣٨م، وليبيا عام ١٩٣٩م، ثم شهد عقد الأربعينيات انتشار الإذاعة المسموعة في عدد من الأقطار العربية، خدمة لأوضاع الحرب وتطوراتها، وتطورات الأوضاع الدولية ذاتها، حيث عرفت سوريا الإذاعة المسموعة عام ١٩٤١م، والصومال عام ١٩٤٣م، واليمن الشمالية عام ١٩٤٧م، والسعودية عام ١٩٤٩م. وبدأت تظهر في بقية أقطار شبه الجزيرة العربية مع بداية عقد الخمسينيات، في الكويت عام ١٩٥١م، واليمن الديمقراطية عام ١٩٥٤م، وموريتانيا في أقصى المغرب العربي عام ١٩٥٦م، وقطر عام ١٩٦٨م، والإمارات العربية المتحدة عام ١٩٦٩م. وتعتبر عمان التي عرفت الإذاعة عام ١٩٧٠م، آخر الأقطار معرفة بها. وهكذا يتضح أن بعض الأقطار سبق بعضها الآخر في معرفة هذه الوسيلة الاتصالية واستخدامها بحوالي أكثر من أربعة عقود ونصف[١].

وتتميز الإذاعة المسموعة عن التلفاز بأنه يمكن الاستماع

(١) الاتصال والإعلام في الوطن العربي، د. راسم محمد الجمال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص ١٠٦ - ١٠٧.

إليها في كل مكان، لذلك نشاهد نسبة عالية من الناس يستمعون للإذاعة أثناء تجوالهم بالسيارات، والتنقل من مكان لآخر، كما انه يمكن حتى للفئات غير المتعلمة الاستفادة من برامج الإذاعة المسموعة.

ففي دراسة عن إقبال الشباب المصري إلى الاستماع إلى الإذاعة تشير النسب المئوية في جملتها إلى أن حوالي ٥٦٪ من الشباب المصري يستمعون إلى الإذاعة بصفة مستديمة ومنتظمة. أما الذين يستمعون إليها في بعض الأحيان فقد بلغت نسبتهم ٣٦٪، وذلك في مقابل ٤٪ لا يستمعون إليها إلا نادراً، ٣٪ لا يستمعون إليها على الإطلاق، وربما تبدو هذه النسب على إنها ملائمة خاصة إذا نظرنا إلى الفئتين الأولى والثانية ووجدنا أن نسبة الشباب المصري الذين يقبلون على الاستماع إلى الإذاعة دائماً أو أحياناً تزيد على الثمانين في المائة، ولكن الحقيقة أن هذه النسب تعتبر ضئيلة إذا ما قورنت بالمعدلات العالمية لإقبال الشباب على الاستماع إلى الإذاعة[1].

ونظراً لأهمية الإذاعة المسموعة في صناعة الرأي العام والتأثير على الشباب، نلاحظ اهتمام مختلف الدول، وخصوصاً الدول الكبرى بإنشاء إذاعات بمختلف اللغات لإيصال رسالتها

---

(١) الطفل والشباب في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، طبع عام ٢٠٠٢م، ص ٣٢٤.

الثقافية إلى كل الشعوب والأمم.

«وتتصدر صوت أمريكا بأكثر من ألف ساعة أسبوعياً بـ ٤٢ لغة في العالم، بينما تبث إذاعة الفاتيكان على ٦ موجات بـ ٣٠ لغة منذ عام ١٩٣١م، ولها تعاون مع ٤٠ محطة تنصيرية تبث في مجموعها أكثر من ١٠٠٠ ساعة في الأسبوع»[١].

كما أن لصوت إذاعة لندن دوراً مهماً في نشرات الأخبار والبرامج السياسية والثقافية منذ قديم الزمان، وقد لعبت هذه الإذاعة دوراً تاريخياً مهماً في رفد العالم العربي بالأخبار والأحداث السياسية بالرغم من بعض الملاحظات عليها؛ إلا أنها أفضل من كثير من الإذاعات الأخرى.

ولكن أغلب الإذاعات المسموعة لا تختلف عن القنوات الفضائية في غلبة البرامج اللهوية والفاسدة عليها، بل توجد الكثير من الإذاعات المتخصصة في بث الأغاني الماجنة، والأفكار المضللة.

ولمواجهة هذه الوسيلة المؤثرة يجب تأسيس المزيد من الإذاعات المسموعة الهادفة والملتزمة بقيم الإسلام ومثله العليا، حتى تكون بمثابة البديل عن الإذاعات المنفلتة من القيم والأخلاق.

---

(١) - الإعلام عالم، عبد الله زنجير، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٤٠ - ٤١.

٣- المجلات والصحف:

بالرغم من الثورة التكنولوجية في عالم القنوات الفضائية والإذاعات المسموعة وشبكة الإنترنت العالمية، إلا أن الصحافة بمختلف أنواعها الورقية والإلكترونية بقيت تمارس دورها في التأثير على الرأي العام، بل وصناعته، من خلال ما تركز عليه من آراء وأفكار ومعلومات وتحليلات وتحقيقات، وما تنشره من رسوم كاريكوتورية معبرة.

ولأهمية جيل الشباب في الحركة الاجتماعية فقد صدرت مجموعة من الصحف والمجلات والدوريات الموجهة لجيل الشباب، تخاطب عقله، وتسعى نحو كسب قلبه للتأثير عليه فكرياً وثقافياً ومعرفياً، فكسب الشباب هو كسب للمستقبل بل وللحاضر أيضاً، فبدون الشباب لا يمكن أن يتقدم المجتمع أية خطوة نحو التقدم والازدهار.

وتشير الأرقام والإحصائيات إلى قلة الصحف الصادرة في الوطن العربي قياساً بالمستوى العالمي، «إذ لم يتجاوز عددها في ١٩٧٥م و ١٩٨٦م نسبة ٤ , ١ بالمئة من إجمالي عدد الصحف اليومية على مستوى العالم (١١٠ صحف يومية للعرب من إجمالي ٧٩٠٠ صحيفة يومية على مستوى العالم في عام ١٩٧٥م، و١٢٠ صحيفة للعرب من إجمالي ٨٥٧٠ صحيفة على مستوى العالم في عام ١٩٨٦م). كذلك

فـإن نسـبتها هزيلة أيضـاً إذا قورنت بعدد الصحـف اليومية التي تصـدر في الدول الناميـة، إذ لم تتجاوز هذه النسـبة ٤ ,٣ بالمئة من إجمالي الصحـف التي تصدر في الدول النامية عام ١٩٧٥م (١١٠ صحف يوميـة للعرب من إجمالي ٣٢٠٠ صحيفة تصدر فـي الدول النامية) وهبطت هذه النسـبة إلـى ٩ ,٢ بالمئة في عام ١٩٨٦م (١٢٠ صحيفـة للعـرب مـن إجمالـي ٤١٨٠ صحيفـة يومية تصدر في الدول النامية»[1].

ويرتبـط بقلة عدد الصحف التي تصـدر في الوطن العربي قياساً بالإجمالي العالمي وبما يصدر في الدول النامية، انخفاض نصيب العرب من إجمالي توزيع الصحف اليومية على المستوى العالمـي، إذ بلـغ ٧ ,٠ بالمئة في عام ١٩٧٥م (٣ملايين نسـخة يومياً مـن إجمالي ٤٥١ مليون نسـخة على المسـتوى العالمي، وظـل نصيبهـم هزيلاً أيضاً في عـام ١٩٨٦م علـى الرغم من أنه تضاعـف وبلـغ ٤ ,١ بالمئـة مـن الإجمالي العالمـي (٨ ملايين نسـخة من إجمالي ٥٥٣ مليون نسخة على المستوى العالمي). ويصدق الأمر ذاته إذا قارنا نسـبة توزيع الصحف اليومية العربية إلى إجمالي الصحف اليومية التي تصدر في الدول النامية، حيث بلغت نسـبتها في عـام ١٩٧٥م حوالي ١ ,٣ بالمئـة من إجمالي

(١) الاتصال والإعلام في الوطن العربي، د. راسم محمد الجمال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص ٩٢.

توزيـع الصحـف اليوميـة فـي الـدول الناميـة (٣ ملايين نسـخة للعـرب من ٩٦ مليون نسـخة للـدول الناميـة مجتمعة). وبلغت هذه النسبة في عام ١٩٨٦م حوالي ٩, ٤ بالمئة (٨ ملايين نسخة من إجمالي ١٦٣ مليون نسخة يومياً).

وبالطبـع، ارتبـط ذلـك بتدنـي مـا يخـص الفـرد العربـي علـى المسـتوى القومي مـن عدد نسـخ الصحف اليومية قياسـاً بالمتوسـط العالمي، إذ تجاوزت حصته في عام ١٩٧٥م حوالي ١/ ٥ متوسـط ما يخص الفرد على المسـتوى العالمي بقليل أي بنسبة ٩, ٢٠ بالمئة «٢٣ نسخة لكل ١٠٠٠ مواطن عربي مقابل ١١٠ نسـخ لكل ١٠٠٠ فرد على المسـتوى العالمي). وتحسن هـذا الوضع نسـبياً في عام ١٩٨٦م حيث تجـاوزت حصة الفرد العربي بقليل ثلث المتوسـط العالمي بنسبة بلغت ٥, ٣٤ بالمئة (٣٨ نسـخة لكل ١٠٠٠ مواطن عربي في مقابل ١١٠ نسخ لكل ١٠٠٠ فـرد علـى مسـتوى العالم). ومع ذلك لـم يبلغ ما يخص الفـرد العربـي علـى المسـتوى القومي فـي العامين متوسـط ما يخص الفرد في الدول النامية، إذ حصل المواطن العربي في عام ١٩٧٥م علـى حوالـي ٩, ٧١ بالمئة من المتوسـط الذي يخص الفـرد من أبنـاء الـدول النامية (٢٣ نسـخة لـكل ١٠٠٠ مواطن عربي مقابل ٣٢ نسخة متوسط ما يخص كل ١٠٠٠ فرد من أبناء الدول النامية)، وعلى ٤, ٨٨ بالمئة في عام ١٩٨٦م (٣٨ نسخة لكل ١٠٠٠ مواطن عربي مقابل ٤٣ نسخة لكل ١٠٠٠ من أبناء

الدول النامية)[١].

ومن جهة أخرى، فإن الدول الصناعية الكبرى لا تزال تسيطر على الإنتاج الإعلامي، إذ يكفي أن تعرف أن أربع وكالات تبث ٨٠٪ من أخبار العالم، هي الأسوشيتدبرس (١٧ مليون) كلمة يومياً، واليونايتدبرس (١١ مليون) كلمة، وهما أمريكيتان، وأيضاً رويتر البريطانية(مليونا ونصف) وفرانس برس (٣,٣٥١٠٠٠) كلمة + ٥٠ صورة، وتخصص جميع هذه الوكالات العملاقة ما معدله ٢٠٪ فقط للعالم النامي كله، أما وكالة أنباء الشرق الأوسط التي تعد من أقدم الوكالات العربية فهي لا تبث أكثر من ١٥٨ ألف كلمة فقط. لكنه رقم غير زهيد أمام وكالة الأنباء الإسلامية العالمية (إينا) التي لا يتعدى بثها ٢٠ صفحة يومياً تترجم للإنكليزية والفرنسية[٢].

وتمتلك الحركة الصهيونية العالمية أكثر من ٩٥٤ صحيفة ومجلة تصدر في ٧٧ دولة، منها ٢٤٤ في الولايات المتحدة و ٣٤٨ في أوروبا و ١١٨ في أمريكا اللاتينية و ٤٢ في أفريقيا و ٣٠ في كندا و ٥ في تركيا و ٣ في الهند[٣].

---

(١) الاتصال والإعلام في الوطن العربي، د. راسم محمد الجمال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص ٩٢ - ٩٣.
(٢) الإعلام عالم، عبد الله زنجير، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٥٥ - ٥٦.
(٣) الإعلام عالم، عبد الله زنجير، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٥٦.

فالصحافـة تتميز عــن غيرها من وسـائل الإعــلام المرئية والمســموعة بأنهـا موجهــة للطبقــة المتعلمــة والمثقفــة، وهــي المستهدفة مما تنشره من أفكار ونظريات وآراء تسعى نحو إقناع القراء بها، والتأثير على قناعاتهم، وتغيير أفكارهم وآرائهم.

ويقبل الكثير من الشـباب فـي عصرنا على قراءة الصحف والمجـلات الإلكترونيــة لأنها أكثر حرية وشـفافية، وأسـرع في متابعــة الأخبـار والأحـداث، كمـا انها تلبـي مختلـف الأمزجة والأذواق الشـبابية. كمـا توجد خاصيــة التفاعل المباشـر مع ما تطرحه تلك المواقع الصحفية من أخبار وآراء وأفكار.

ويتفاعل الشـباب أكثر مع الآراء الجديدة والمثيرة، والتي تناقش المواضيع المسكوت عنها أو الحساسة. لذلك تلجأ بعض الصحف والمجلات إلى طرق تلك المواضيع لاسـتقطاب أكبر شريحة من المراهقين والشباب للتأثير عليهم، وكسب رضاهم.

وعليـه، فـإن علـى الشـباب الانتبـاه في قـراءة مـا تطرحه الصحـف والمجـلات غير الملتزمة، لأنها تبث أفكاراً مسـمومة تسـاهم في تسـميم العقـول، فكما يراعي الشـباب مـا يتناولونه مــن أغذيــة وأطعمة عليهم أيضــاً أن يراعوا ما يقــرؤوه من أفكار ونظريات حتى لا يصابوا بالضرر والمرض الثقافي والمعرفي.

فبعض الصحف والمجلات تطرح أفكاراً مضللة كالقول: بــأن الديــن حاجز عــن التقــدم والعصرنــة، أو القــول أن الآيات

الشريفة والأحاديث نزلت في سياق بيئة اجتماعية معينة وتناسب ذلك الزمان، ولا تصلح للألفية الثالثة، أو ادعاء أن الدين يناقض العلم، والعلم متقدم على الدين أو التركيز على الفلسفة المادية وتجاهل أي دور للمعنويات في حياة الإنسان أو طرح الشبهات للتشكيك في الدين وتنفير الشباب منه... وغير ذلك كثير.

لذلك على الشباب أن يتعاملوا مع هذه الأطروحات بوعي وبصيرة، وأن يقتربوا من القرآن الكريم، والتدبر في آياته، وسبر أغواره العميقة، ومجالسة العلماء ومناقشتهم حول مختلف الإشكاليات والشبهات المطروحة، حتى يكون للشباب حصانة قوية من التأثر بالأفكار التي تروج لها الصحافة المعادية للدين.

ثانياً- دور الإنترنت

تمثل شبكة الإنترنت مصدراً مهماً في تلقي الثقافة المعاصرة لجيل الشباب، وأصبح الإقبال على هذه الشبكة من قبل الجيل الجديد يتضاعف يوماً بعد آخر، وذلك لما تتميز به هذه الشبكة من تنوع وثراء في مختلف الأبعاد والجوانب، فهي تلبي كل الأذواق والتوجهات الشبابية.

ومع كل الفوائد والمحاسن التي توفرها شبكة الإنترنت العالمية من إتاحة الفرصة للاطلاع على حجم هائل من المعلومات والثقافات والأفكار، ومن وجود مواقع إخبارية

تربطك بكل ما يحدث في العالم لحظة بلحظة، ومن قدرة كل شخص على تأسيس موقع خاص له على هذه الشبكة العنكبوتية، ومن القدرة على إنجاز الكثير من الأعمال المالية والتجارية وغيرها بيسر وسهولة، ومن الاستفادة من البريد الإلكتروني الذي أصبح الأسرع في دنيا البريد... وغير ذلك كثير.

إلا أنه مع ذلك؛ فإن لشبكة الإنترنت مخاطر ومساوئ كثيرة، منها - على سبيل المثال - المواقع الإباحية المدمرة للأخلاق والقيم، والمواقع التي تبث أفكاراً فاسدة ومضللة للجيل الجديد، وسهولة إقامة علاقات غير مشروعة بين الجنسين من دون رقيب ولا حسيب، بل وابتزاز الآخرين عبر السيطرة على ما لديهم من ملفات تختص بحياتهم العامة والخاصة... وغيرها من المساوئ والمخاطر.

كما أصبح للشبكات الاجتماعية روادها وبالملايين من الناس الذين يقومون بإقامة علاقات بين الجنسين وبدون ضوابط أو قيود، مما يسهل الوصول إلى علاقات محرمة.

ومن أشهر الشبكات الاجتماعية شبكة (فايسبوك facebook) حيث بلغ عدد مستخدميها ٢٥٠ مليوناً، وهو عدد ضخم في وقت قصير نسبياً، إذ «قال مؤسس موقع التعارف الإلكتروني الشهير فايسبوك (مارك زوكربرغ): إن عدد مستخدمي الموقع بلغ ٢٥٠ مليون شخص».

وأضاف زوكربرغ في رسالة نشرها على مدونة فايسبوك الرسمية: يدفعنا إيقاع نمونا السريع إلى التواضع والحماسة في آن معاً ويستطرد مخاطباً رواد موقعه: لا نعتبر وصول عدد المشتركين إلى ٢٥٠ مليون مستخدم أمراً مثيراً للإعجاب فحسب، بل إنه كذلك مؤشر إلى العدد الكبير من العلاقات الشخصية التي تمكنتم من عقدها.

نشأت «فايسبوك» ومقرها بالو التو في ولاية كاليفورنيا في العام ٢٠٠٤م وصارت أكثر خدمات التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت شعبية، متخطية «ماي سبايس» التي تملكها شركة إخبارية[١].

والمشكلة أن هذه الشبكات الاجتماعية -كما تُسمى- هي مكان خصب للاطلاع على ما لا يجوز الاطلاع عليه، ويمكن من خلاله إقامة علاقات عاطفية بمنتهى السهولة مع من أحب من مختلف أرجاء الدنيا!

وللدردشة في هذه الشبكات الاجتماعية وغيرها مساوىء عديدة، منها: تضييع الوقت في غير فائدة، ومنها تعلم ألفاظ بذيئة، ومنها إقامة علاقات غير مشروعة، وقد أشارت دراسة أميركية لمخاطر دردشة المراهقين، إذ أفادت هذه الدراسة

---

(١) صحيفة الحياة، الجمعة ١٧ تموز (يوليو) ٢٠٠٩م الموافق ٢٤ رجب ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٩٠٥، الصفحة الأخيرة.

بـأن ٥٤ فـي المئـة مـن المراهقيـن علـى شـبكة «My Sapce» الاجتماعيـة، تطرقت أحاديثهـم إلى مواضيع تعتبـر محظورات اجتماعيـة، كالجنس والكحـول والعنف، وهو الأمـر الذي أثار قلق العلماء من احتمال تطور هذه السلوكيات إلى أفعال.

واطلـع الباحثـون علـى ٥٠٠ مـن الصفحـات الشـخصية لمشتركين تحت سـن ١٨ سنة، تمثل كلا الجنسين، لتجد أن معظم هذه الصفحات احتوت على سـلوكيات مريبة، سـواء كان ذلك من خلال أحاديث «دردشة»، أو في بعض الأحيان، صور.

ونفـت الدكتـورة ميغـان مورينـو، مـن كليـة الطـب فـي جامعة ويسكونسـن الأمريكية، أن يكـون جميع المراهقين ذوي الصفحـات المريبـة، مشـاركين بالفعـل فـي أعمال غير سـوية. وأضافـت مورينـو أن «المراهقين قد يشـاركون في أحاديث عن الجنس أو العنف، ولكن هذا يكون عادة للتباهي أمام أصدقائهم ليس إلا».

غيـر أن أسـتاذ طب الأطفـال في جامعة واشـنطن ديميتري كريسـتاكيز، قال أن السلوك غير السـوي عند المراهقين قد يتطور فـي مراحل لاحقة إلى أفعال، حتى لو اقتصرت السـلوكيات على الأحاديث. وأضـاف أن الإعجـاب الـذي يتلقـاه المتصفحين من أصدقائهم، قد يدفعهم إلى تجربة هذه السلوكيات في المستقبل.

وكجزء من الدراسة، فتحت مورينو ومجموعة من زملائها

ملفاً خاصاً بهم على الموقع، تحت اسم «دكتور ميغ»، وأرسلوا تحذيرات إلى جميع المراهقين ممن اطلعوا على صفحاتهم، لتحذيرهم من بعض السلوكيات الموجودة على صفحاتهم.

ووجدت الدراسة أن ٤٢ في المئة ممن استلموا الرسالة، إضافة إلى ٢٩ في المئة ممن لم يستلموها، إما أزالوا الصور البذيئة عن صفحاتهم، أوجعلوا ملفاتهم خاصة، بحيث لا يستطيع أحد الاطلاع عليها.

ويوصي الخبراء بضرورة أن يراقب الأهل الصفحات الخاصة بأطفالهم، اذ تقول عالمة النفس، فيفيان فريدمان: «في بعض الأحيان، يجب على الأهل أن يعرفوا كلمة السر التي تطلعهم على صفحات أطفالهم، خصوصاً في المرحلة العمرية من ١٣ إلى ١٤ سنة»[1].

ومن دون وعي المتلقي لا يمكن التقليل من مخاطر الإنترنت وسلبياته، إذ أصبح تأثيره ملحوظاً على كل شيء في حياة الجيل الجديد من المراهقين والشباب، فمن نوعية الملابس وتصفيف الشعر إلى طريقة التفكير والنظر للأمور وصولاً للقناعات الفكرية والمعرفية التي يؤمن بها.

فالإنترنت والموبايل ووسائل الاتصال الأخرى لم تعد

(١) صحيفة الحياة، الأربعاء ٧ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٩م الموافق ١٠ محرم ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٧١٤.

مجـرد وسـائل تكنولوجيـة صامتـة، بـل تحمل فـي ذاتهـا ثقافة ومعرفـة، وهي حاملة لمنتجات ثقافيـة تغزو من خلال الأدوات الحديثـة كل أنحـاء المعمورة متجـاوزة كل الحـدود الجغرافية والحواجز الطبيعية لتصل إلى كل فرد أينما وجد وتواجد!!

ولمواجهة ذلك، على كل شاب أن ينمي في داخله الوازع الدينـي، والخـوف من الله تعالـى، ليكون بمثابـة الرقيب الذاتي الـذي يمنعه من الوقوع فـي المعاصي والموبقات. أضف لذلك أن ننمي في شـبابنا الثقافـة القرآنية بحيث تكـون بمثابة الحصن الواقي من الانسياق وراء الثقافة المادية الحديثة.

ثالثاً- ثقافة الكتاب

بقـي الكتـاب وسـيبقى مصـدراً هاماً مـن مصـادر الثقافة والمعرفـة والفكـر، فرغـم مزاحمة الوسـائل الحديثـة كالإعلام ووسـائل الاتصـال الأخـرى لـه إلا أنه سـيبقى المصـدر الأكثر رصانة ومتانة وقوة في صناعة الثقافة والمعرفة.

وقد شـجع القرآن الكريم على اكتساب المعارف والعلوم كمـا في قوله تعالـى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمـاً**﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٢]. كما مدح

(١) سورة: طه، الآية: ١١٤.
(٢) سورة: الزمر، الآية: ٩.

الله سبحانه وتعالى القلم وما يسطره من كتب مفيدة ونافعة، يقول تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[1] وشجع على أهمية اكتساب المعرفة من خلال القراءة والمطالعة، ويكفي أن نعلم أن أول آية نزلت في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ**﴾[2] والقرآن الكريم هو المصدر الأول للحصول على الثقافة الإسلامية فهو كتاب هداية وعلم وبصائر كما في قوله تعالى: ﴿**هَـذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[3].

والشباب المؤمن يجب أن يركز على ثقافة القرآن الحكيم باعتباره كتاب الله سبحانه وتعالى، ثم الأخذ من الكتب المفيدة والنافعة في بناء شخصيته، واكتساب معارفه وعلومه.

لكن الجيل الجديد يواجه اليوم تحديات كبيرة في عالم الكتب والمطبوعات، إذ توجد الكثير من الكتب المضللة والمنحرفة والتي تؤثر على الشباب، خصوصاً مع إتقان بعض المؤلفين لأساليب وفنون الكتابة المعاصرة، وبصورة جذابة، وطرق مواضيع مثيرة كمسائل الجنس، والعلاقات العاطفية بين الجنسين، والتمرد على القيم الاجتماعية، ومحاولة التشكيك في الثوابت الدينية.

---

(١) سورة: القلم، الآية: ١.

(٢) سورة: الإسراء، الآية: ١٤.

(٣) سورة: الجاثية ، الآية: ٢٠.

وفي هذا السياق توظف كل أدوات فنون الكتابة كالفن القصصي، وفن الرواية، قوالب الشعر، الأدب الفكاهي والساخر، سحر البلاغة والبيان... كل ذلك من أجل كسب أكبر قطاع من الشباب، والتأثير على قناعاتهم الثقافية والفكرية.

ويشير القرآن الحكيم إلى أهمية الكلمة الطيبة وتأثيرها كما في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء**﴾[1] وكذلك الكلمة الخبيثة ولكن بصورة سلبية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾[2].

وللأسف الشديد فإن الكلمة الخبيثة في عالم اليوم أصبحت هي الغالبة، سواء في الوطن العربي أو الغربي، والدراسات والكتب المفيدة والمبدعة والهادفة قليلة جداً؛ بل أن إنتاج الكتاب في الوطن العربي قليل جداً مقارنة بما ينتجه العالم الغربي، ولنذكر بعض الأرقام في هذا المجال:

فعلى الرغم من قلة البيانات الكمية الحديثة المتاحة عن إنتاج الكتب في الوطن العربي، فإنها تشير بجلاء إلى تواضع إنتاج العرب من الكتب. وعلى الرغم من أن هذا الإنتاج ظل يتصاعد تدريجياً من ٢,٢٠٠ عنوان في عام ١٩٥٥م إلى أن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٢) سورة: إبراهيم، الآية: ٢٦.

وصل إلى ٧٠٠٠ عنوان في عام ١٩٨٧م، فإن نسبة الإنتاج العربي إلى الإنتاج العالمي كان في عام ١٩٥٥م حوالي ٨ , ٠ بالمئة فقط، ثم ارتفع إلى ١ , ١ بالمئة في عام ١٩٦٠م، ثم هبط إلى ٩ , ٠ في عام ١٩٦٥م. وظل هكذا إلى أن عاد كما كان ٨ , ٠ بالمئة في عام ١٩٨٧م، وبمعنى آخر كانت النسبة المئوية لإنتاج العرب من عناوين الكتب إلى الإجمالي العالمي في عام ١٩٨٧م هي نسبتهم المئوية ذاتها في عام ١٩٥٥م.

وتشير البيانات إلى أن كل مليون عربي كان يخصهم ٢٧ عنواناً في عام ١٩٥٥م في مقابل المتوسط العالمي ١٣١ لكل مليون شخص، وفي الوقت الذي كان متوسط ما يخص سكان الدول النامية ٣٨ عنواناً لكل مليون فرد. وإن هذا المتوسط ارتفع إلى ٤٠ عنواناً لكل مليون عربي في عام ١٩٦٠م، ثم انخفض بعد ذلك إلى ٣٨ عنواناً في عامي ١٩٦٥م و ١٩٧٠م ثم انخفض إلى ٣٥ عنواناً في عام ١٩٧٥م. ولم يعد إلى ما كان عليه في عام ١٩٦٠م سوى في عام ١٩٨٠م، أي بعد عقدين من الزمن، وانخفض بعد ذلك إلى ٣٥ عنواناً في عام ١٩٨٧م، في الوقت الذي ارتفع فيه المتوسط العالمي إلى ١٦٦ عنواناً لكل مليون فرد على المستوى العالمي، وفي الدول النامية إلى ٥٨ عنواناً لكل مليون فرد. ومن ناحية أخرى كانت النسبة المئوية لإنتاج الكتب إلى عدد السكان في الوطن العربي في عام ١٩٥٥م حوالي ٠ , ٤ بالمئة، وظلت هذه النسبة في الارتفاع الطفيف إلى أن وصلت

إلـى ٦‚٤ بالمئـة في عام ١٩٧٥م، ثم هبطـت إلى ٣,٧ بالمئة في عـام ١٩٨٠م، ووصلت إلـى ٤,٠ بالمئة في عام ١٩٨٧م، وهي النسبة المئوية ذاتها لعام ١٩٥٥م[١].

وفـي ميـدان ثقافـة الطفـل تتجلـى أقصى صـور التحدي الثقافي، حيث تستهلك جميع البلاد العربية ما لا يزيد على ١٠٪ مما استهلكته دولة مثل بلجيكا في الكتابة على الورق للأطفال، على الرغم من أن عدد سـكانها لا يتجاوز نسـبة ١٠٪ من سكان الدول العربية! وفي الاتحاد السوفييتي السابق كان نصيب الطفل ٤٥٧ كتاباً في السنة، مقابل كتابين أو ثلاثة في البلاد العربية.

ولعل هـذا ينقلنا للحديـث عن ندرة الكتاب الإسـلاميين وغيرهـم، المختصين بأدب الأطفال، ففي دراسـة علمية أعدها خبـراء المجالـس القوميـة المتخصصـة بمصر، أن هنـاك ١٦٦ متخصصاً في أدب الأطفال مقابل ٢٢ مليون طفل![٢]

وهذا يشـير إلى مـدى التراجـع الثقافي الذي تعيشـه أمتنا العربيـة، ومقـدار التقـدم الثقافي للغرب الذي تشـير إليـه أرقام صناعـة الكتـب هنـاك، والذي نسـتورد جـزءاً مهماً منـه، وتتأثر

---

(١) الاتصال والإعلام في الوطن العربي، د. راسم محمد الجمال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص ١٠٣ - ١٠٦.

(٢) الإعلام عالم، عبد الله زنجير، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٥٥.

أجيالنا الشابة بتلك الثقافة الغربية التي لا يتناسب بعضها مع قيمنا وتراثنا وحضارتنا.

وتزداد محنتنا الثقافية عندما نعلم أن اختراع الكتابة قد ظهر في العالم العربي، وبالتحديد في بلاد ما بين النهرين، وأن أولى المكتبات في التاريخ ظهرت في العالم العربي، خصوصاً في بلاد وادي النيل كما تشير لذلك الدراسات التاريخية والحفريات الأثرية، إلا أن التراجع الحضاري الذي أصاب الأمة الإسلامية قد أثر على كل مناحي الحياة، ومنه الحياة الثقافية.

إن على شبابنا وفتياتنا أن تأخذ ثقافتها من القرآن الكريم أولاً، وبما ورد في تراث الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته وصحابته الأخيار ثانياً، وثالثاً: الاستفادة من منجزات الثقافة المعاصرة في أبعادها الإيجابية، والحذر من التأثر بالأبعاد السلبية للثقافة المعاصرة.

إن القرآن الكريم الذي يدعو إلى التبصر والبصيرة في كل شيء، يدعونا إلى التبصر في كل مصادر ثقافتنا، وفي أبعاد الثقافة التي نستقي منها أفكارنا وقناعاتنا الفكرية.

أهم الوسائل في التأثير على الشباب

في الألفية الثالثة حيث يعولم كل شيء، وحيث يُراد عولمة الثقافة، وتعميم الرؤية الغربية لكل بقاع الدنيا، رغم اختلاف الرؤى والقيم، وخصوصيات المجتمعات الإنسانية، لكن ما يهم الثقافة المتقدمة تكنولوجياً وتقنياً، هو نشر رسالتها إلى كل الناس، والتأثير على كل الشرائح، وخصوصاً شريحة الشباب المؤهلة سيكولوجياً للتأثر بما يقدم إليها من ثقافة متحررة من كل القيم والمبادئ والأخلاق.

ومن أجل تحقيق تلك الأهداف والغايات تركز الثقافة المعاصرة غير الملتزمة على مجموعة من الوسائل والآليات للتأثير على جيل الشباب، ومن أهمها ما يلي:

١- التركيز على تهييج الغرائز والشهوات:

في بداية مرحلة الشباب تستيقظ عند كل شاب الغرائز والشهوات، وخصوصاً الغريزة الجنسية، ويسعى نحو إشباعها، وقد تسيطر على تفكيره وخياله عندما لا يتمتع بتربية أخلاقية

ودينية، فطبيعة الإنسان أنها تميل للشهوات وحب الملذات، يقول تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1].

ونظراً لوجود هذه الحقيقة في كيان الإنسان تركز وسائل الإعلام الحديثة، وكذلك وسائل الاتصال المتنوعة على تهييج الغرائز والشهوات كوسيلة مهمة في التأثير على جيل الشباب، ودغدغة مشاعرهم الشهوانية بما يلبي نداء الغرائز والشهوات القوي جداً في مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الشباب.

وعندما ينساق أي شاب وراء شهواته وغرائزه فإنه يفقد القدرة على الثبات والصمود، والحفاظ على المبادئ والقيم، ويتحول إلى عبد للشهوات، لذلك يحذر القرآن الكريم من اتباع الشهوات في قوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾[2].

ومع أن الإنسان في مرحلة الشباب معرض للتأثر بغرائزه وشهواته القوية؛ إلا أنه يستطيع بالإرادة، والتقوى أن يسيطر على تلك الغرائز والشهوات، يقول الإمام علي عليه السلام: «أشجع الناس من غلب هواه»[3] ويقول الإمام علي عليه السلام أيضاً: «من كرمت

---

(١) سورة: يوسف، الآية: ٥٣.

(٢) سورة: مريم: الآية: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٦٧، ص ٧٦، رقم٥.

عليه نفسه، هانت عليه شهواته»[1].

٢- ثقافة الصورة المتحركة:

لـم تعد الصورة التي تبث عبر شاشـات الإعلام ووسـائل الاتصـال مجرد صـور صامتـة؛ بل تحولـت إلى وسـيلة ثقافية، وتعبـر عـن مواقف وآراء، ولـم تعد الصورة المتطـورة في عصر العولمـة الجديد مجرد صـورة، فالصورة لهـا محتوياتها الثقافية والمعرفيـة، وأخـذت تلعـب دوراً مؤثراً لإيصال أية رسـالة يُراد إقناع الشباب بها.

وفي عصر تغير فيه كل شـيء، تغيرت معـه الصورة أيضاً، فلـم تعد الصورة مجرد لوحـة فنية، أو تعبير عن رسـوم وصور، أو مجـردة متعة تسـر الناظريـن إليها، بل أضحت تحمـل أفكاراً وثقافـة ومعرفة، بغض النظر إن كانت تلك الثقافة هادفة وملتزمة أم فاضحة ومخلة بالآداب والحياء!

فالصـورة المتحركـة والمتطـورة تحولـت إلـى وسـيلة للتواصـل الإنسـاني، وأصبحـت من أسـلحة المعركـة الثقافية، وهي أضحت أكثر تأثيراً في جيل الشباب من أي جيل آخر.

والإبـداع والتطـور الـذي يصاحـب الصـورة المتحركـة

---

(١) نهج البلاغة، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج٤، ص ٧٦٤، رقم ٤٤٤.

استخدمت في كثير من الأحيان في توصيل رسالة مليئة بالصور العارية أو شبه العارية، خصوصاً للمرأة التي يـرُاد تحويلها إلى مجرد وسيلة في عملية استعراض فني لمفاتن جسدها بصورة مثيرة للغرائز.

وتستخدم اليوم كل تقنيات عرض الصور المتطورة من خلال وسائل التلفاز والكمبيوتر والسينما وأجهزة الفيديو و DVD وغيرها في نشر الأفلام المبتذلة، والصور الخادشة للحياء والتي تنشر حتى على الملابس، أو أدوات الحلاقة، أو في حلقات المفاتيح، أو على أجهزة الفيديو أو أقراص CD ليسهل ترويجها بين الشباب، بما يُساهم في زيادة لهيب نار الشهوات بهدف إفساد الشباب أخلاقياً.

وقد أثبتت الدراسات الميدانية العلاقة الوثيقة بين ارتكاب الجرائم الجنسية ومشاهدة الأفلام الجنسية؛ بَيْدَ أن مشاهدة الأفلام الخليعة والصور العارية تؤدي إلى تدمير الضوابط والقيم الأخلاقية عند المشاهدين لها؛ وما ارتفاع جرائم الاغتصاب للفتيات في كثير من المجتمعات المسلمة، بل واغتصاب الأطفال إلا دليلاً على تأثير ذلك في سلوكيات الفتيان والفتيات.

«وقد كشفت إحدى الدراسات أن التدفق على المواقع الإباحية في أوقات العمل التي تبدأ من الساعة التاسعة صباحاً إلى الخامسة عصراً قد يبلغ (٧٠٪) من إجمالي نسبة التدفق على تلك

المواقع. كما كشفت دراسة إحدى الشركات بأن هناك إقبالاً كبيراً جدّاً على المواقع الإباحية حيث تزعم إحدى الشركات الإباحية بأن (٤,٧) مليون زائر يزورون صفحاتهم على الشبكة أسبوعياً، كذلك أوضحت دراسة (أدست – Adsit) أن المواقع الإباحية أصبحت مشكلة حقيقية، وأن آثارها المدمرة لا تقتصر على مجتمع دون الآخر، ويمكن أن تلمس آثارها السيئة من ارتفاع جرائم الاغتصاب بصفة عامة واغتصاب الأطفال بصفة خاصة.

وقد أثبتت بعض الدراسات في المجتمع السعودي أن (٨,٦٨٪) من مجموعة المبحوثين يرون أن هناك علاقة بين الانحراف والجرائم المرتكبة وبين مشاهدة أشرطة الفيديو الجنسية، وأن (٧,٥٣٪) من مرتكبي الجرائم الجنسية كانوا يميلون إلى مشاهدة الأفلام الجنسية، كما تبين من الدراسة قوة تأثير مثل هذه الصور في ارتكاب جرائم الاعتداء الجنسي من قبل مجرمي اغتصاب الإناث وهاتكي أعراض الذكور»[١].

ونظراً لما تتركه الصور الإباحية والأفلام الخليعة على سلوك الإنسان فقد أفتى الفقهاء من مختلف المذاهب الإسلامية بحرمة مشاهدة أو اقتناء ذلك، وذلك بهدف الحفاظ على أخلاقيات وسلوكيات وقيم الشباب من التدمير والتخريب.

---

(١) مجلة العلوم والتقنية، الرياض، العدد ٦٥، محرم ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص٢٠.

إن علـى جيـل الشـباب الابتعـاد عـن كل صـورة مبتذلة، وللـوازع الدينـي دوره الفاعـل والمانع مـن الوقوع فـي الرذيلة والانحـراف، وإلا إذا تجاوب الشـاب مـع الانحراف، ووقع في مستنقع الفساد فإنه سينحط شيئاً فشيئاً حتى يصل لقاع الانحراف والفساد، وبذلك يخسر دنياه وآخرته.

٣- ثقافة الموضات والصرعات الحديثة:

من الوسـائل والأسـاليب التي تلجـأ إليها الثقافـة المادية لاسـتقطاب جيل الشـباب والتأثير على سـلوكياتهم هـو التركيز على ثقافـة الموضـات والصرعـات والتقليعـات الحديثة، ففي كل يـوم توجد موضة جديدة في اللبـاس والملابس التي تخص الشـباب والفتيات، وفي كل يوم توجد صرعة حديثة في الحلاقة وتصفيف الشعر، وفي كل يوم توجد تقليعة في إظهار المزيد من مفاتن الجسد والجسم.

وتحمـل الكثير مـن الموضات والصرعـات في الملابس صـوراً وشـعارات معينـة ذات دلالات ثقافيـة، بـل أحياناً توجد عبارات على بعض الملابس تحمل شـعارات إلحادية أو إباحية أو جنسـية... بما يؤدي إلى نشـر الإلحاد أو الرذيلة والفسـاد في المجتمع.

وتسـتغل الثقافة المادية إقبال جيل الشباب على الموضات

الجديدة والموديلات المتنوعة للملابس وغيرها للدخول في عالم الشباب، وتغيير ثقافتهم الإسلامية لتحل محلها ثقافة غربية بعيدة كل البعد عن القيم المعنوية والأخلاقية للمجتمع المسلم.

إن ارتداء اللباس هو لحفظ البدن من الحرارة والبرودة، ولستر العورة، والحفاظ على قيمة الاحتشام والستر كما أشار القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[1] وتشير هذه الآية الشريفة إلى جواز التجمل والتزين بأحلى زينة ولكن بما يتناسب مع قيمنا وثقافتنا الإسلامية.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وهو يفسر هذه الآية الشريفة: ولكن فائدة اللباس الذي أرسلناه لكم، ليس هو مجرد ستر البدن وإخفاء العيوب و السوءآت، بل أرسلنا لكم - أيضاً- لباس تجمل وزينة يزين أجسامكم ويجعلها أجمل مما هي عليه. ﴿**وَرِيشاً**﴾.

وكلمة «ريش» في الأصل هو ما يستر أجسام الطيور، وحيث أن ريش الطيور هو اللباس الطبيعي في أجسامها، لهذا أطلق على نوع من أنواع الألبسة، ولكن حيث أن ريش الطير في الأغلب مختلف الألوان جميلها، لذلك تتضمن هذه الكلمة مفهوم الزينة والجمال، هذا مضافاً إلى أنه تطلق كلمة الريش على الأقمشة التي تلقى على سرج الفرس أو جهاز البعير.

---

(١) - سورة: الأعراف، الآية: ٢٦.

وقـد أطلق بعض المفسـرين وأهل اللغة هـذه اللفظة على معنى أوسـع أيضاً، وهـو كل نوع من أنواع الأثـاث والحاجيات التي يحتاج إليها الإنسـان، ولكن الأنسب في الآية الحاضرة هو الألبسة الجميلة وثياب الزينة.

ثـم تحـدث القـرآن عقيب هـذه الجملـة التي كانـت حول اللبـاس الظاهري، عن حد اللبـاس المعنوي تبعاً لسـيرته الدائمة التـي تمزج بين الجانبين المادي والمعنـوي، الظاهري والباطني، في أغلب المواقع، إذ قال: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾.

وتشـبيه التقـوى باللباس تشـبيه قوي الدلالـة، معبر جداً، لأنه كما أن اللباس يحفظ البدن من الحر والقر، يقي الجسم عن الكثير من الأخطار، ويسـتر العيوب الجسـمانية، وهو بالإضافة إلى هذا وذاك زينة للإنسان، ومصدر جمال. كذلك روح التقوى مضافاً إلى أنها تستر عيوب البشر وتخفي عيوبه، وتقيه من الكثير مـن الأخطـار الفرديـة والاجتماعية، تعـد زينة كبرى لـه... زينة ملفتة للنظر تضيف إلى شـخصيته رفعة وسـمواً، وتزيدها جلالاً وبهاءً[1].

ثم يحذر القرآن الكريم من الانجرار خلف الشيطان الذي

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج ٥، ص ٧ - ٨.

يزين للإنسان سوء تصرفاته، يقول تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[1].

وتوجد اليوم من الألبسة والموضات الجديدة ما يمكن أن نطلق عليه التعبير القرآني ﴿**يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا**﴾[2] فنزع اللباس له صور ومصاديق متعددة، منها: إظهار ما يجب ستره خصوصاً للمرأة، ومنها اللباس الضيق المجسم لمفاتن المرأة، ومنها الألبسة التي تظهر أماكن الإثارة لتهييج الغرائز والشهوات... وغيرها من المصاديق الخارجية.

ولأن الملابس التي يلبسها الإنسان، وطريقة لبسها، ليس مجرد أمر ذوقي وشخصي، وإنما هو انعكاس عن القيم والمثل التي يؤمن بها المجتمع، لذلك نجد أن للإسلام تعليمات وتوصيات بخصوص الألبسة ومنها:

١ - أن تكون الألبسة نظيفة وجميلة وطاهرة.

٢ - أن لا يكون اللباس لباس شهرة.

٣ - أن لا يكون لباس المرأة شفافاً بحيث يحكي ما تحته، ولا ضيقاً بحيث يظهر مفاتن وتقاطيع الجسم.

---

(١) سورة: الأعراف، الآية: ٢٧.

(٢) سورة: الأعراف، الآية: ٢٧.

٤- عدم تشبه الشباب بلباس الفتيات، أو تشبه الفتيات بلباس الشباب.
٥- مراعاة القيم والأخلاق والذوق في اختيار الألبسة والملابس الظاهرة والداخلية.
٦- اجتناب الألبسة القبيحة والمثيرة للذوق العام، وللشخصية المسلمة.

٤- الاهتمام بكل الأذواق والأمزجة الشبابية:

في مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الشباب تبرز عند هذه الشريحة المهمة العديد من الرغبات والميول والأماني والأحلام والتخيلات المثالية لكل شيء حولهم.

والشباب في بداية شبابهم سريعو الانتقال من مزاج لآخر، ومن ذوق لذوق آخر، ومن فكرة لفكرة أخرى، ومن موقف لموقف آخر... وهكذا دواليك.

والثقافة الغربية المادية وهي تعمل بكل جد من أجل كسب جيل الشباب أينما كانوا تحاول تلبية كل ما يتطلبه الشباب من أذواق وأمزجة وسلوكيات، سواء في الموضات والتقليعات والصرعات المتجددة، أو في السلوكيات والحركات المثيرة، أو في الإخراج الفني لثقافة الصورة الجذابة، أو في الأشكال والرسوم الجديدة، بل حتى في صناعة الموبايل والسيارات والدراجات الهوائية

والنارية... وفي كل شيء!

ومن أجل السيطرة على عقول الشباب والفتيات لم تتوان الثقافة المعاصرة في بعدها السلبي أن تتماشى ظاهرياً مع الأذواق الإسلامية لتصنع ميولاً منحرفة في إطار يبدو معقولاً ومقبولاً من الناحية الإسلامية.

وأبرز مثال على ذلك حجاب المرأة، فلم تغفل الثقافة المادية المرأة المتحجبة، فسعت نحو إضفاء المزيد من الإثارة على العباءة النسائية المصنعة خصيصاً للمرأة المتحجبة، ولكن مع وضع المزيد من الزخارف واللفتات المثيرة في تلك العباءة!!

فللفتاة المتحجبة كتبت العديد من الكتب الخاصة والألبومات الملونة لتختار ما يناسبها من نماذج الحجاب لإضفاء المزيد من الجاذبية والجمال والأناقة إليها.

والإسلام الذي لم يحدد نوعاً معيناً لستر جسم المرأة، وإنما المطلوب منها هو ستر جميع جسدها باستثناء وجهها وكفيها، إلا أنه يمانع في لبس أي لباس يعد لباس شهرة، أو يحتوي على زينة أو إثارة، والمرجع في تحديد ذلك العرف الاجتماعي.

إن ما نراه اليوم من بعض الأنواع في الحجاب أو العباءة النسائية المخصرة لدرجة كبيرة بحيث تجسم مفاتن المرأة لهو

أمر محـرم لما يثيره في المجتمع من نشـر للفتنة وإثارة للغريزة، وإيقاظ للشهوة.

وما نوصي به الفتيات - كما الشـباب - هو أن يكون لباسهن انعكاساً للقيـم الدينيـة والاجتماعية للتي يؤمنن بهـا، وأن لا تكون مسايرة للموضة غير الملتزمة بضوابط الشرع والمجتمع.

ولتتذكر الفتاة المسلمة دوماً وأبداً قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُـنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَـا مَلَكَـتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِـي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَـا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(١) ولتهتم كل فتاة - كما كل شـاب - بالجمال الباطنـي إضافـة إلى الجمـال الظاهري، فجمـال الباطن أهم من جمال الظاهر، وجمال الظاهر مع قبح الباطن دليل على انحراف الإنسان وفساده!

---

(١) سورة: النور، الآية: ٣١.

أهداف وغايات الثقافة المادية

تسعى الثقافة المادية من خلال وسائلها وأساليبها المتنوعة الموجهة لجيل الشباب إلى تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات.. من أبرزها ما يلي:

١- إضعاف الروح الدينية:

الحاجة إلى الدين حاجة رئيسة عند الإنسان، لأنه بحاجة لمعرفة حقيقة نفسه، ومعرفة حقائق الوجود الكبرى، وأول هذه الحقائق وأعظمها الإيمان بوجود الله عز وجل.

والإنسان يولد على الفطرة كما أشار القرآن لذلك في قوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[١] والفطرة التي فطر الله تعالى الخلق عليها هي معرفته عَزَّ وجل، يقول الإمام علي عليه السلام: «أول الدين معرفته، وكمال

---

(١) سورة: الروم، الآية: ٣٠.

معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده»[1].

ومرحلـة الشـباب هي مرحلة تفتح جميـع الغرائز؛ ومنها: الغريـزة الدينية حيث يكون عند الشـباب القابلية لفهم المسـائل الدينيـة، وحـب الاطـلاع علـى الأصـول الاعتقاديـة، ومعرفـة المفاهيم الدينية، والتمسك بالمبادئ والقيم الدينية.

لكـن قد ينحرف بعض الشـباب لأسـباب مختلفـة؛ منها: التربية والتنشئة الاجتماعية، والانسياق وراء الشهوات والغرائز، وتأثير الثقافة المادية، حيث تسعى هذه الثقافة إلى إضعاف الروح الدينية عند الشـباب والفتيات من خـلال إيجاد قيم دينية أخرى، ومفاهيـم جديـدة عن الدين، والتشـكيك بالأصـول الاعتقادية، وبـث مفاهيم مغلوطة عن الديـن، ومحاولة بنـاء مفاهيم مغايرة للفهـم الصحيح للأسـس والاعتقـادات الدينيـة، والتركيز على الأمور المادية، وإغفال الجوانب المعنوية والدينية.

يقـول الدكتـور مصطفـى حجـازي: «تتنكـر العولمـة للوجدانيـات والروحانيـات مـن خـلال التركيـز علـى النجـاح المادي في الثروة والاستهلاك، ينحسر معنى الوجود في النجاح المـادي دون ما عـداه. وهو ما يطمس جانباً أساسـياً من الوجود الإنسـاني الذي يكفل الطمأنينة ويحقق التوازن النفسـي. تختزل الفلسـفة الموجهـة للعولمة دوافـع الوجود الإنسـاني في دافعي

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤، ص٢٧٤، رقم٥.

السيطرة - اللذة. همّ الإنسان المعولم أن يكون قوياً في سوق المال وأن يبسط سيطرته بشكل متزايد على الدوام (بين عمالقة المال والأعمال). وأما المكافأة هي الاستمتاع المتجدد بكل ملذات الرفاه. إلا أن فلسفة السيطرة، اللذة نخبوية بالطبع؛ قلة قليلة تتمكن منها فقط، أما الغالبية وخصوصاً كتلة الشباب المتعاظمة فتظل على إحباطها الذي يفاقمه درجة وعيها بالأمر ومشاهداتها لتجلياته واستعراضاته في الحياة اليومية، كما في الإعلام الفضائي»[1].

وقد انساق بعض الشباب مع هذه الروح المادية التي تطرحها العولمة الثقافية، محاولة تركيز القواعد المادية في عقول الشباب على أنها أساس السعادة والنجاح في الحياة، لكن الحقيقة ليست كذلك، فلا يمكن للمال وحده صناعة السعادة والاستقرار النفسي، في حين أن الدين الذي يدعو للتوازن في جميع الأبعاد هو الذي يحقق السعادة الحقيقية للإنسان، ويساعده على تجاوز كل المشاكل والعقبات، وبناء حياة مطمئنة ومستقرة وهادئة.

ومع وضوح هذه الحقيقة؛ إلا أن الثقافة المعاصرة استطاعت أن تُضعف تمسك بعض الشباب بالشعائر الدينية وفي

---

(١) الشباب الخليجي والمستقبل، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ١٥٣- ١٥٤.

مقدمتها الصلاة التي هي عمود الدين، ففي دراسة شملت عينة من الشباب المصري اتضح «أن الحرص على أداء الصلاة كان سمة غالبة على شباب العينة ككل. حيث بلغت نسبة من يداوم بحرص على أداء الصلاة (٦٥ , ٦٣٪) في مقابل نسبة (٦ , ٦٪) من شباب العينة كشفت عن عدم حرص على أداء الصلاة»[١].

وعن مدى تمسك الشباب المصري بتعاليم الدين ومدى كفاءة التربية الدينية لديهم، نفت الغالبية العظمى من الشباب أهمية تمسك الشباب المصري بالتعاليم الدينية على النحو المطلوب. وذهبت إلى أن الشباب هو إما غير متمسك بالمرة بتعاليم الدين (٤ , ١٥٪) أو غير متمسك بها إلا في أضيق الحدود «أو إلى حد ما» (٦ , ٥٦٪) ولم تبلغ نسبة تمسك الشباب بتعاليم الدين أكثر من (٦ , ٢٧٪) من مجموع العينة ككل[٢].

وهذا الأمر موجود في الكثير من المجتمعات المسلمة وإن تفاوتت النسبة، فقد تزيد أو تنقص بحسب تأثير علماء الدين والتنشئة الاجتماعية على الشباب. وهذا يعني أن للثقافة المعاصرة، ولسيطرة الروح المادية على الشباب آثر فاعل في إضعاف تمسك بعض الشباب بالقيم والمبادئ الدينية، لكن

---

(١) الطفل والشباب في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية – مصر، طبع عام ٢٠٠٢م، ص ٢٣٥.

(٢) الطفل والشباب في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية – مصر، طبع عام ٢٠٠٢م، ص ٢٣٧ – ٢٣٨.

لحسن الحظ يوجد في المقابل شباب مؤمنون وصادقون في تمسكهم بالقيم والمبادئ الدينية، ولم يتأثروا بدعايات الثقافة المعولمة رغم قوة إعلامها ووسائلها المختلفة.

٢- تغيير البنية الثقافية:

أهم هدف تسعى إليه الثقافة التغريبية هو تغيير البنية الثقافية للشباب، وفي هذا الإطار يأتي الكم الكبير من وسائل الإعلام الغربية ومواقع الإنترنت التي تبث الثقافة الغربية لمختلف شعوب العالم، ومنها شعوب العالم الإسلامي الذي يحتضن في أراضيه أهم الموارد الطبيعية كالنفط والغاز والذهب وغيره من المعادن المهمة في الصناعة الحديثة. كما أن العالم الإسلامي يقع في منطقة استراتيجية، وله وجود في مختلف قارات العالم.

وفي مرحلة الشباب تكون خصيصة التأثر قوية جداً عندهم، أكثر من أي مرحلة عُمرية أخرى، لذلك فإن من أهداف الثقافة المادية هو التأثير على عقول الشباب، وكسب قلوبهم، سعياً نحو تغيير البنية الثقافية عندهم، فهذا هو أقصر الطرق لتوجيه الشباب والسيطرة على عقولهم!

ويستتبع تغيير البنية الثقافية عند الشباب تغيير الكثير من القناعات الثقافية والفكرية عندهم. ولأن إمكانية التغيير الثقافي

إنما يتم من خلال التأثير على العقل، فبه يتغير تفكير الإنسان، وبه تتغير قناعات الشخص، وبه يتدبر ويتبصر الإنسان ما حوله من أفكار وثقافات، فعقل الإنسان هو الهدف الحقيقي للتغيير الثقافي والمعرفي، ولذلك نرى القرآن الكريم يدعونا في كثير من آياته الشريفة إلى استخدام عقولنا، وتغذيته بالثقافة الأصيلة والفكر السليم.

ولأهمية العقل ومحوريته في البناء الفكري والثقافي للإنسان، فقد ورد لفظة (العقل) ومشتقاتها في القرآن الكريم نحو ٥٠ مرة، ولفظة (أولو الألباب) ١٦٨ مرة، ليؤكد على أهمية العقل ومركزيته في أي بناء فكري وثقافي.

فحتى لا تستطيع الثقافة المادية أن تسيطر على عقول الشباب علينا أن ننمي عقولهم بالثقافة الإسلامية، وبالفكر الإسلامي، وبما ورد عن طريق الوحي كالقرآن الكريم حتى لا يكون هناك أي فراغ يدخل من خلاله ثقافات سقيمة تؤثر على بناء أدمغة شبابنا وفتياتنا.

٣- إفساد الشباب أخلاقياً:

إن إشاعة الفساد والفحشاء والمنكرات والموبقات والمحرمات بين الشباب من أهم أهداف الثقافة المادية التي لا تقيم وزناً للقيم والضوابط الدينية والأخلاقية.

وقـد توعـد الله عز وجـل الذين يحبون إشـاعة الفاحشـة بالعـذاب الأليـم فـي الدنيـا والآخرة كما فـي قوله تعالـى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِـيعَ الْفَاحِشَـةُ فِي الَّذِينَ آمَنُـوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِـي الدُّنْيَـا وَالْآخِرَةِ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ وَأَنتُـمْ لَا تَعْلَمُـونَ**﴾[1] ذلك لأن إشـاعة الفاحشـة في المجتمع يؤدي إلى تدميره وخرابه أخلاقياً ودينياً.

وقد اسـتطاعت الثقافـة الماديـة بما تملك مـن إمكانيات هائلـة في مجـال الإعلام والاتصال أن تنشـر الفسـاد الأخلاقي بين الشـباب، فنجد مئات القنـوات الإباحية التي تبث على مدار السـاعة بصورة مقززة للأخـلاق والذوق العام، بل توجد قنوات فضائيـة متخصصة لنشـر الشـذوذ الجنسـي بين الشـباب، وبين الفتيات!!

كما تسـتخدم الثقافة المادية كل أساليبها الحديثة من أجل إثارة الشهوات والغرائز، وقد استطاعت بذلك أن تدمر أخلاقيات الشباب، وتقلص من تمسكهم بالقيم الدينية والأخلاقية.

ومـن مظاهر هذا الفسـاد الأخلاقـي الذي تقوم بـه الثقافة الماديـة الحديثـة بيـن شـباب العصر هو حـب المادة، وسـيطرة اللهو واللعب المحرم، وعبادة الشـهوات، والتفاعل مع الباطل، والقبول بوسـاوس الشـيطان وأسـاليبه الماكرة، وانعـدام الحياء

---

(١) سورة: النور، الآية: ١٩.

والعفة والاحتشـام، وانتشـار العلاقات العاطفية بين الجنسـين، وازديـاد الاغتصـاب، وتضاعـف الانحرافات الجنسـية...وغير ذلك كثير.

كل ذلك بسبب انتشار الأفلام الخليعة، والقنوات الإباحية التي أخذت على عاتقها نشـر الرذيلة والفساد بين جيل الشباب، والشـاب عندما يبدأ بمشـاهدة تلك الأفلام القبيحة يُدمن عليها، ويرغـب باسـتمرار في مشـاهدتها، مما يؤدي به إلـى الانحراف الأخلاقـي شـيئاً فشـيئاً حتى يتحلل مـن أية أخـلاق أو قيم دينية عليا.

ولمواجهة ذلك، على الشباب أن يُنموا في داخلهم الوازع الديني، وأن لا يشـاهدوا أية مقاطع محرمة، وأن يرتقوا بعقولهم نحـو المزيد من الوعي والبصيرة، وأن يكون الحفاظ على الدين والتمسـك به أهم شيء في حياة شـبابنا، وأن لا يخضعوا لميول الشهوات والغرائز حتى لا يتحولوا إلى عُباد لها، وعندئذ يخسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

٤- التأثير على سلوكيات الشباب:

التأثير على سـلوك الشباب، وتغيير نسـق شخصياتهم هو هـدف آخر من أهداف الثقافة المادية، حيث تسـتغل هذه الثقافة المرحلة العُمرية للشـباب، بيد أنهم يكونون في سـن يسـهل فيه الانتقال من سلوكيات إلى أخرى، ومن أنماط إلى أنماط أخرى،

فالشباب في بداية شبابهم يتميزون بالسرعة في تغيير قناعاتهم، وإضفاء المزيد من الحداثة على سلوكياتهم، والتمرد على قيم وعادات المجتمع، فليس من المستغرب أن نجد تصرفات مثيرة وبهلوانية يقوم بها المراهقون والشباب.

و«يتفق أكثر علماء النفس على القول بأن الإنسان قادر على تقويم سلوكه المسبق أكثر مما يكون أسيراً له، بفعل قوة الإرادة البناءة للشخصية وهي العامل الذي يحدد نمط تغير سلوك ما واستبداله بسلوك آخر.

وللشباب قدرة على تغيير سلوكهم تتعدى قدرة الإنسان في سائر مراحل عمره لأنهم من ناحية يتمتعون بقوة عارمة تمكنهم من تحقيق مآربهم. كما أن الصفات والعادات من ناحية أخرى لم تتبلور وتنعقد بعد لتشكل لديهم عوامل ثابتة، بل أن أكثر سلوكهم يتصف بالمرونة والقدرة الفائقة على التغيّر.

إن تغير السلوك كغيره من الظواهر التربوية عملية تمر بمراحل خاصة حتى تبلغ الغاية المنشودة، وأول خطوة تتخذ في هذا المضمار هي «الوعي الذاتي» أي أن تتكون لدى الشباب صورة واضحة ومعينة عن نفسه وأن يعلم بدقة أي سلوك هو المرجو إزالته من لوحة شخصيته وأي سلوك يستبدل به. إن استخدام الإرادة هو الخطوة الثانية في هذا السياق، فكثير من الشباب تواق لتغيير سلوك خاص من شخصيته إلا أنه يفشل

فـي إنجاز ذلـك في مرحلة التطبيق بسـبب ضعـف إرادته، وإلى جانـب ذلك يلعب الآخـرون كذلك دوراً هاماً فـي مجال إعداد الأرضية لتغيير سـلوك الشباب، فتكون عملية تغيّر السلوك ثمرة تلاقح مساعي الشباب والمحيطين بهم وهي نتاج يلعب الشباب أنفسهم في استثماره الدور الأكثر فعالية من غيرهم»[1].

وتوظـف الثقافـة الماديـة مسـتفيدة مـن كل مـا لديها من منجزات علمية وتكنولوجية في التأثير على سـلوكيات الشباب، والعمـل علـى تحويلهـم إلـى شـخصيات يتبنون نفـس الأفكار والسلوكيات التي تبشر بها الثقافة المادية.

وقـد نجحت إلى حد كبير في اسـتقطاب قطاع واسـع من الجيـل الجديـد، والتأثير على سـلوكياتهم، وهذا مـا نلحظه في كثير من المجتمعات المسلمة فضلاً عن غيرها، إذ نجد كيف أن سلوكيات الشباب تتغير بسرعة مذهلة، وأن الكثير منها هو تقليد لسلوكيات الثقافة المادية.

٥- بناء قيم وعادات اجتماعية جديدة:

تغييـر البنيـة الاجتماعية هـدف رئيس من أهـداف الثقافة الماديـة، والمجتمع لا يمكن تغييره فجأة بل يحتاج إلى عمليات

---

(١) الشباب والقوة الرابعة للحياة، د. محمد رضا شرفي، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٥٣ - ٥٤.

ثقافيـة واجتماعيـة متدرجـة حتـى يحـدث التغييـر الاجتماعـي العام.

والغـرب الـذي يسـعى إلى تعميـم رؤيته الثقافيـة وصولاً إلـى تغيير المجتمعات البشـرية بحسـب ثقافته يـدرك أن التغيير الاجتماعي ليس بالأمر السهل، لكنه ليس مستحيلاً، ولذلك عمد إلـى خطوات تدريجية للنفور من الثقافة الإسـلامية واسـتبدالها بثقافة غربية تركز على الماديات، والاستمتاع باللذائذ الشهوانية من غير قيود أو ضوابط دينية.

وبعـد أن نجح في ميادين كثيـرة، أخذ يحاول اختراق أهم حصن في المجتمع الإسلامي وهو كيان الأسرة، فعمد إلى عقد المؤتمـرات الدوليـة حول الأسـرة وقضايـا المرأة، حامـلاً راية تغييـر كيان الأسـرة بشـكله المعروف، عبـر الدعوة إلـى تجاوز القيم والضوابط الدينيـة، والدعوة إلى قبول حرية العلاقات غير المشـروعة بين الجنسـين، و وإلغاء دور الزوجـة داخل المنزل، وتحديد صلاحيات الزوج، والاعتراف القانوني بتعددية أشكال الأسرة!!

كما يسـعى الغرب من خلال ماكنته الإعلامية والاتصالية إلـى إيجـاد قيـم وعـادات اجتماعية جديـدة، والتمـرد على كل العادات والآداب المألوفة في المجتمعات المسـلمة، وتشـجيع الشـباب علـى خلـق علاقـات عاطفيـة مـن خـلال مـا يسـمى

بالشـبكات الاجتماعية على الإنترنت كشـبكة فايسـبوك وشبكة تويتـر وغيرهمـا من الشـبكات التي تهدف إلى تشـبيك علاقات غير مشروعة، وإن كان هذا لا ينفي وجود فوائد لهذه الشبكات، لكن مخاطرها كبيرة خصوصاً على الجيل الجديد.

وحتى نسـتطيع المحافظة على قيمنا وأخلاقنا الإسـلامية علينـا أن نبرز للشـباب محاسـن ثقافتنا الإسـلامية، ونقاط القوة فيهـا، ونبين من جهة أخرى سـلبيات ومسـاوئ الثقافـة المادية، وأضرارها على المراهقين والشباب.

النتائج والآثار السيئة للثقافة المعاصرة

أفرزت الثقافة المادية المعاصرة العديد من النتائج والآثار السيئة على مختلف الأبعاد والجوانب سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي، وسنحاول أن نلقي الأضواء على آثار ونتائج سلبية ملموسة يلمسها أي مراقب لحركة المجتمع أو سلوكيات الأفراد... من أهمها ما يلي:

أولاً- الآثار النفسية:

تعمل عناصر البلوغ القوية وبشكل طبيعي على إيجاد تحولات كبيرة في نفس الشاب وجسمه، وتحصره في ظروف استثنائية متعبة وخاصة، فمن جهة يحصل الشاب باقتراب أيام الشباب ونضج القوى الجسمية والنفسية على أفضل عوامل التكامل والرقي، إن استغلها حسناً فإن السعادة ستكون بانتظاره، ومن جهة أخرى يعاني الشاب من أشد الاضطرابات النفسية والتي يمكن أن تسبب له الشقاء الأبدي لو غفل وأخذ على حين غرة.

هـذه الميـول المختلفـة والمتضـادة دفعـت العلمـاء المعاصريـن إلى اعتبار فترة الشـباب على إنهـا من أعقد مراحل الحيـاة البشـرية وأكثرها إبهاماً، وخصصوا مشـكلات الشـباب على رأس المشكلات الاجتماعية[1].

وتسـاعد الثقافة الماديـة المعاصرة على خلـق المزيد من الاضطرابـات النفسـية عند جيل الشـباب، بسـبب مـا تزينه هذه الثقافـة للشـباب من طموحـات كبيـرة، وأفكار خياليـة، وتركيز على الماديات، مما يجعل الشباب يغرقون في عالم من الأحلام والأمنيـات قـد لا يسـتطيعون تحقيقها ثم تبدأ المشـاكل والآثار النفسية عند الشباب؛ ومن أبرز هذه الآثار النفسية ما يلي:

١ - الإحباط والتذمر الذي قد يؤدي إلى الاكتئاب النفسي.

٢ - النرجسـية الزائـدة عـن الـلازم ومـا يترتـب عليها من مشكلات في الحياة الواقعية.

٣- اللجوء إلى أساليب مختلفة من العنف لتحقيق أمنياته وغاياته النفسية.

٤ - المزاجيـة المتقلبـة ممـا يـؤدي بـه إلـى عـدم الثبـات والصمود أمام مشكلات الحياة.

٥- ضعـف الإرادة بسـبب الغـرق فـي بحـر الشـهوات والملذات.

---

(١) الشاب بين العقل والعاطفة، محمد تقي فلسفي، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج١، ص٨٠.

٦- الشعور بالعجب والغرور، وحب المغامرة، والتهور، واللامبالاة، وعدم تحمل المسؤولية.

والثقافة المادية المعاصرة التي تضخم هذه الحالات النفسية عند الشباب، بل وهي أحياناً السبب الرئيس في تولدها عند الجيل الجديد، لا تقدم له حلولاً، ولا تقف معه عندما يتعرض لهذه المشاكل النفسية.

ولو أمعنا النظر في المراهقين والشباب ممن حولنا لرأينا عمق التغيرات النفسية التي تمر بهم نتيجة لتأثير الثقافة المعاصرة، ومدى المشكلات والاضطرابات النفسية التي تواجه قسماً معتداً به من الشباب.

ولذلك علينا الانتباه لشبابنا، ومحاولة معرفة ما يدور في باطنهم من أفكار وتصورات بل واضطرابات نفسية قد تكون خطيرة!

إن الدين يدعو إلى توفير كل الاحتياجات الفيزيولوجية كالحاجة إلى الأوكسجين، والحاجة إلى الغذاء والماء، والحاجة إلى النوم والراحة.. وكذلك يدعو الدين لتوفير الاحتياجات النفسية المهمة كالحاجة إلى المعنويات والروحانيات، والحاجة إلى توكيد الذات، والحاجة لتحقيق التوافق مع المجتمع..إلخ.

ثانياً- الآثار الأخلاقية:

في مرحلة الشباب تنمو عندهم القيم الأخلاقية كالتعاون، وحب العمل التطوعي، ومساعدة الآخرين، والوفاء بالعهد، والظهور بمظهر محترم، والشجاعة، والفتوة، والإيثار...إلى غير ذلك من القيم الأخلاقية الجميلة.

لكن تلك القيم الأخلاقية والصفات الإنسانية النبيلة يمكن أن تذبل وتموت لتحل محلها صفات أخرى وسلوكيات غير أخلاقية بسبب التأثر بالثقافة المادية الفاسدة.

وقد نجحت الثقافة المعاصرة في استقطاب شريحة من المراهقين والشباب، وسلب القيم الأخلاقية الجميلة منهم، وتغذيتهم بسلوكيات منحرفة، وأفعال قبيحة...ومن أبرزها ما يلي:

١- الانحرافات الجنسية:

تنتشر في عصرنا وبشكل كبير بين شريحة المراهقين والشباب مختلف أشكال وأنواع الانحرافات الجنسية، وذلك بفعل تركيز الثقافة الغربية - وغيرها من الثقافات غير الملتزمة- على أن أي وسيلة للإشباع الجنسي أمر مشروع، وأن ذلك من الحرية الشخصية التي لا يحق لأحد التدخل فيها!!!

وعملوا بكل ما استطاعوا على نشر الأفلام الخليعة، وبث

القنوات الفضائية الإباحية، وكذلك المجلات الخليعة... كل ذلك بهدف إفساد الشباب، والسيطرة على عقولهم، وسلب أموالهم من خلال هذا الطريق المشبّع بالشهوات الجنسية.

وبالرغم من أن وجود الانحرافات الجنسية ليس بالشيء الجديد في المجتمعات الإنسانية، فهو موجود منذ وجد الإنسان، لكن انتشاره على هذا النطاق الواسع لم يكن معهوداً من قبل هذا الزمان.

وأهم الانحرافات الجنسية ما يلي:

أ- انتشار الزنى:

لقد انتشرت دور الدعارة والبغاء في الكثير من المجتمعات المسلمة، بل وأصبح وسيلة للترويج السياحي، فأصبح الزنى وكأنه أمر عادي، في حين أن القرآن الكريم يصرح بوضوح بحرمة هذا العمل كما في قوله تعالى: ﴿**الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1] بل ويدعو القرآن الحكيم لعدم الاقتراب من الزنى فضلاً عن ارتكابه كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً**﴾[2].

وقد ساعدت الوسائل الحديثة في عالم الاتصال، والمحادثات

---

(١) سورة النور، الآية ٣.

(٢) سورة: الإسراء، الآية: ٣٢.

عبر الماسنجر سواء كان بالصوت أو الكتابة، وانتشار الشبكات الاجتماعية في نشر العلاقات غير المشروعة بين الجنسين، وتبدأ العلاقات بين الجنسين بصورة عادية، ثم تتطور شيئاً فشيئاً لتصل إلى العلاقة المحرمة وأقصاها الزنى، وهو من كبائر الذنوب، وله أضرار كبيرة كاختلاط الأنساب، ونشر الأمراض الجنسية كالإيدز والزهري...، وإشاعة الفاحشة بين الناس.

ثم إن هذا الانحراف الجنسي إذا دخل فيه الإنسان فإنه لا يخرج منه إلا بصعوبة، حيث يتعود على ممارسة الزنى في كل يوم مع فتاة جديدة! وفي النهاية لابد أن يفتضح أمره أمام الناس فيفقد شخصيته في المجتمع، فعلى الشباب الابتعاد عن هذا المنزلق الخطير، عبر تقوية الإرادة، والخوف من العذاب الأخروي، والتزوج مبكراً حتى لا يكون عبداً لشهواته ونزواته.

ب- الشذوذ الجنسي:

في هذا العصر توجد شبكات فساد في العالم للترويج للشذوذ الجنسي سواء بين الذكور (اللواط) أو بين الإناث (السحاق)، بل الآن هناك قنوات فضائية متخصصة في نشر الشذوذ بين الشباب والفتيات، وهو أمر يدعو للتقزز والغثيان!

وقد حرم القرآن الكريم فاحشة اللواط، فقد تحدث القرآن الكريم عن قوم لوط الذين انتشر بينهم هذه الفاحشة بصورة

كبيرة، يقول تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1] وهم يرفضون الطهارة، والقبول بالزواج المشروع بدل اللجوء إلى ممارسة اللواط.

وقد أشارت الكثير من الروايات والأحاديث إلى النهي الشديد عن اللواط، وعقاب اللائط والملوط به في الدنيا والآخرة، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من جامع غلاماً، جاء جنباً يوم القيامة لا ينقيه ماء الدنيا، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيراً، ثم قال: إن الذكر ليركب الذكر، فيهتز العرش لذلك، وإن الرجل ليؤتى في حقبه فيحبسه الله على جسر جهنم حتى يفرغ من حساب الخلائق، ثم يؤمر به إلى جهنم، فيعذب بطبقاتها طبقة طبقة حتى يرد إلى أسفلها ولا يخرج منها»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج، إن الله أهلك أمة بحرمة الدبر، ولم يهلك أحداً بحرمة الفرج»[3].

---

(١) سورة: الأعراف، الآيات: ٨٠ - ٨٢.
(٢) فروع الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣، ص ٥٤٧، رقم ٢.
(٣) فروع الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣، ص ٥٤٧، رقم ١.

وعن ابن القـداح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «جاء رجل إلـى أبي فقال: يا ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنـي ابتليت ببلاء فادح فـادع الله لـي، فقيل له: إنه يؤتى في دبره، فقـال: ما أبلى الله عز وجـل بهـذا البلاء أحداً لـه فيه حاجة. ثـم قال أبي: قـال الله عز وجـل: وعزتـي وجلالي لا يقعـد علـى إسـتبرقها وحريرها من يؤتى في دبره»[1] ففاحشة اللواط من أبغض المحرمات عند الله سـبحانه وتعالى، ومع ذلـك فباب التوبة مفتـوح للمذنبين، وإذا تـاب مـن اللواط قبل أن تقوم عليه البينة سـقط عنـه الحد؛ لائطاً كان أم ملوطاً، أما إذا تاب بعدها لم يسقط الحد عنه.

وكمـا أن الشـذوذ الجنسـي بيـن الذكور محـرم، فكذلك الشـذوذ الجنسـي بيـن الإناث محرم أيضاً. ويسـمى (السـحق) أو (السـحاق) أو (المسـاحقة) من باب المفاعلة، وهو من أشـد الكبائـر وأعظـم المحرمات، وقد ورد عن علـي بن إبراهيم، عن أبيـه، عـن عمرو بـن عثمان، عن يزيـد النخعي، عن بشـير النبال قـال: رأيت عند أبي عبـد الله عليه السلام رجلاً فقال لـه: ما تقول في اللواتي مع اللواتي؟ (كناية عن المساحقة)

فقال: لا أخبرك حتى تحلف لتحدثن بما أحدثك النساء.

قال: فحلف له.

فقـال: هما في النار عليهما سـبعون حلة من نار فوق تلك

(١) فروع الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣، ص ٥٥٢، رقم ٥.

الحلل جلد جاف غليظ من نار عليهما نطاقان من نار وتاجان من نار فوق تلك الحلل وخفان من نار وهما في النار[1].

وروى محمد بن حمزة وهشام وحفص عن الصادق عليه السلام أنه دخل عليه نسوة، فسألته امرأة منهن عن السحق ؟

فقال: (حدها حد الزاني)

فقالت المرأة: ما ذكرها الله عز وجل في القرآن، قال: (بلى) قالت: وأين هو؟

قال: (هن أصحاب الرس)[2]

وقد ذهب المشهور من الفقهاء «إلى أن حد السحق مائة جلدة للفاعلة والمفعولة مع العقل والبلوغ والاختيار محصنة كانت أو غير محصنة، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن المساحقة؟ قال: «حدها حد الزاني»[3]، فإذا عطفنا هذه الرواية على رواية أخرى عن أبيه الإمام الباقر عليهما السلام التي قال فيها: «المساحقة تجلد»[4] كانت النتيجة أن المساحقة تعاقب بمائة

---

(١) الوسائل، الحر العاملي، ج٢٠، ص ٣٤٥، رقم٢٥٧٨٧.
(٢) عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج٣، ص ٥٦٠، رقم٥٢، باب الحدود.
(٣) الوسائل، الحر العاملي، ج ٢٠، ص ٣٤٧، رقم ٢٥٧٩١.
(٤) عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج٣، ص ٥٥٩، رقم٥١، باب الحدود.

جلدة؛ لأنها حد الزاني غير المحصن.

وإذا تكررت المساحقة تقتل الفاعلة والمفعولة في الرابعة؛ لأن السحق من الكبائر التي يقتل المصر عليها في الرابعة.

ويسقط حد السحق بالتوبة قبل إقامة البينة لا بعدها، ومع الإقرار والتوبة يكون الحاكم مخيراً بين إقامة الحد والعفو، تماماً كما هي الحال في الزنا واللواط؛ لأن الجميع من باب واحد[1].

ح- العادة السرية:

نظراً لما تبثه الثقافة المادية من صور مهيجة للشهوة والغريزة عند الشباب، انتشر بين بعضهم العادة السرية (الاستمناء) وهي شكل من أشكال الانحراف الجنسي، وهي محرمة، والدليل على ذلك ما ورد من النهي الشديد عن ممارسة هذا العمل وتعزير فاعله، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الخضخضة[2] فقال: إثم عظيم قد نهى الله عنه في كتابه وفاعله كناكح نفسه، ولو علمت بما يفعله ما أكلت معه، فقال السائل: فبين لي يا ابن رسول الله من كتاب الله فيه فقال: قول الله: ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[3] وهو مما وراء

---

(١) فقه الإمام جعفر الصادق عرض واستدلال، محمد جواد مغنية، مؤسسة السبطين العالمية، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ج٦، ص ٢٩٢.

(٢) الخضخضة، الاستمناء باليد.

(٣) سورة المؤمنون: الآية٧.

ذلـك. فقـال الرجـل: أيما أكبر؟ الزنـا؟ أو هي؟ فقـال: هو ذنب عظيـم، قد قال القائل بعـض الذنب أهون من بعـض، والذنوب كلهـا عظيم عنـد الله لأنها معاصي، وأن اللـه لا يحب من العباد العصيان، وقد نهانا الله عن ذلك لأنها من عمل الشيطان[1]، وقد قال: ﴿**لا تَعْبُدُوا الشَّـيْطَانَ**﴾[2] ﴿**إِنَّ الشَّـيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[3].

وعـن طلحـة بن زيـد، عن أبـي عبـد اللـه عليه السلام، أن أمير المؤمنيـن عليه السلام أتـي برجـل عبـث بذكـره، فضـرب يـده حتـى احمرت، ثم زوجه من بيت المال[4].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا يكلمهـم اللـه يـوم القيامة ولا ينظـر إليهم ولهم عـذاب أليم: الناتف شيبه، والناكح نفسه، والمنكوح في دبره[5].

وبالإضافة للأحاديث الكثيرة الدالة على حرمة الاسـتمناء (العادة السرية) ادّعي الإجماع على ذلك، كما عده بعض الفقهاء بأنه من الذنوب الكبيرة.

---

(١) الوسائل، الحر العاملي، ج٢٨، ص٣٦٤، رقم٣٤٩٧٨.
(٢) سورة يس: الآية ٦٠.
(٣) سورة فاطر: الآية ٦.
(٤) الوسائل، الحر العاملي، ج٢٨، ص٣٦٣، رقم ٣٤٩٧٥.
(٥) الوسائل، الحر العاملي، ج٢، ص ١٣، رقم١٧٠٩.

وأضرارها كثيرة تبدأ من الأضرار الصحية كإضعاف الجهاز التناسلي، والضعف العام في الجسم، وربما تؤدي هذه العادة السيئة إلى العجز الجنسي، مروراً بالأضرار النفسية كالكآبة، واضطراب التوتر، وعدم الاتزان في السلوك، والشعور بالكسل والخمول. وانتهاء بالأضرار العائلية والحياة الزوجية كالبرود الجنسي... وغير ذلك من الأضرار.

لذلك على الشباب والفتيات الذين يمارسون هذه العادة المحرمة والسيئة تركها، وسرعة الزواج كحل علاجي عن هذه العادة السيئة.

٢- الإدمان على المسكرات والمخدرات:

من المخاطر التي تواجه شباب العصر هو الإدمان على المخدرات والمسكرات، ويقع بعض الشباب ضحايا لهذا النوع من الإدمان الخطير الذي يدمر الأخلاق ويغيب العقل، ويضعف الإرادة، ويخل بالتوازن، ويضر بالصحة، ويتلف الأموال، ويخرب البيوت.

وقد شدد القرآن الكريم على حرمة الخمر، ومن باب أولى أن تكون المخدرات كذلك، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ**

بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1]. فوصفه القرآن بأنه رجس، وهو ما خبث واستقذر، وأنه من عمل الشيطان، وأمر باجتنابه، واعتبره القرآن الكريم سبب العداوة والبغضاء، والابتعاد عن ذكر الله تعالى، وعن الصلاة التي هي عمود الدين... كل ذلك من أجل أن يبتعد الإنسان عن تناول الخمر أو غيره من المسكرات والمخدرات، أو يتوقف عنه إن كان قد وقع في شباكها.

وقد «ثبت علمياً أن الإدمان على الخمرة يؤدي إلى إلحاق أضرار مدمرة بالمدمن، وقد نبهنا القرآن الكريم على ضرر معاقرة الخمور، قبل العلم الحديث بقرون عديدة، وحذرنا منها، وختم عليها بختم التحريم»[2].

يقول الدكتور (إيتوف): «إن المشروبات الكحولية، سرعان ما يمتصها الدم، وينقلها في جريانه إلى الدماغ، ونتيجة ذلك أن يضعف عمل الأعصاب، ويفقد الإنسان سيطرته الإرادية على كفّ النفس، الذي يشكل منشأ الحياء، ويمنع من بروز الأعمال الوقحة، وبعبارة أخرى: إن الكحول يشل أقوى أعمال الدماغ، وهي قدرته على كبح الإنسان، وإن جرائم الجنس، والقتل، والضرب، والجرح، والسرقة، والتشرد، غالباً

---

(١) سورة: المائدة، الآيتان: ٩٠ - ٩١.

(٢) الشباب في عاصفة الغرائز، همت سهراب بور، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٣٥.

ما تقع عقيب تناول المسكرات.

إن الكحـول يزيـل الخجـل والحياء، ويهتك سـتار العفة، ويحـرر الفـرد مـن جميـع قيـود المجتمـع والأخـلاق والدين، ويخفف من سلطة الضمير، ويحول الملاك إلى شيطان».

ويقول (ألكسيس كاريل): «إن ممارسة الزواج أو الزوجة للجماع في حالة المسكر، هو جناية حقيقية، لأن الأطفال الذين يولـدون على أثر ذلك يعانون غالباً من عوارض عصبية ونفسـية لا تطاق».

إن الإحصاءات والتحقيقات المعاصرة، تشير إلى أن نسبة وفيـات الأطفال الذين يولدون لآباء يعاقـرون الخمور، أكثر من نسـبة أولئك الذين يموتون بسـبب سائر الأمراض، وأن الأطفال الذيـن يولدون للمدمنين غالباً ما يكونون ضعاف البنية، مصابين بالعلل والتشـنجات، قليلي القدرة على مواجهة مشـاكل الحياة، وشديدي الحساسـية للالتهابات، ويعانون من النواقص البدنية، والانـزلاق فـي العمـود الفقري، ومعرضـون للإصابـة بالصمم والخـرس بسـبب عدم كفـاءة غـدة التيروئيد، وكذلـك التلفات الدماغية، كالتخلف العقلي، والنقص في النمو، والجنون الحاد، وغير ذلك.

يقـول المتخصصـون: إن الكحـول بطبيعتـه الخالصـة، ودون أن يطـرأ عليه تغيير، يدخل الدم، ويعرض الأوعية الدموية

للضرر، بل يصيب بأضـراره كل أجهزة البدن، فيتعرض المدمن لسـوء الهضم، وآلام المعدة، والتقيء، وأن من الأعمال المهمة للكبد تحليل السموم وإبطال تأثيراتها الضارة على البدن، إلا أنه للأسـف ليس بوسـعه الوقوف بوجه السـموم الكحوليـة، بل إنه يقع تحت تأثير مفعولها الضار[1].

ثـم أن خطـورة الخمر أنه كلمـا تناول الإنسـان منه جرعة اعتاد الجسـم عليهـا، فإذا تناول نفـس المقدار ثانيـة فلن يكتفي بها، وسـيطلب المزيد، وهـذا يعني أنه في كل مرة سـيزداد طلبه للكحول، وهي مادة سـمية، فيزداد الأثر السـمي، وخاصة تأثيره على الكبد، وقد علم أن ٦٠٪ من حالات تشمع الكبد بسببه[2].

وبالإضافة إلى انتشار الإدمان على المسكرات، فقد انتشر أيضاً لدى قطاع ليس بالقليل من الشباب الإدمان على المخدرات، وهو طريق قذر يوصل الإنسان إلى الهلاك والدمار.

ويسـبِّب اسـتعمال المخدرات في أوسـاط المراهقين في بعـض البلدان قلقًا شـديدًا. أبـرزت نتائج البحث فـي الولايات المتحـدة أن غالبيـة المراهقين في تلك البـلاد جربوا على الأقل مخدرات مثل الكحول، وملح حمض البربيوريت، والكوكايين،

(١) الشباب في عاصفة الغرائز، همت سهراب بور، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٣٦ - ٣٧.

(٢) صناعة الشباب، د. محمد سعيد حوى، دار السلام، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٨٨.

ومـادة إل. إس. دي المخـدرة، أو المارجوانـا. وبعضهم جرّب الهيرويـن، والمورفين، أو المواد المخـدرة الأخرى. والتعاطي المنتظـم للكثيـر مـن هـذه المخـدرات مضـر بالجسـم، إذ إن جرعـة واحـدة مفرطة من بعض المخـدرات، مثـل الهيروين أو البربيتوريت، قد تنتج عنها الغيبوبة أو الوفاة.

وفي البلدان التي يشـكل فيها تعاطي المخدرات مشـكلة، لا يمكن الحصول علـى كل المخدرات التي يمكن أن يتعاطاها المراهقون أو يسـتعملوها استعمالاً قانونياً بدون وصفة طبية من الطبيب. والكحول هو الاستثناء الأساسي، وهو أكثر المخدرات المستعملة انتشارًا وسط البالغين والمراهقين في أمريكا وأوروبا. وبالرغم من حظر بيع الكحول للمراهقين إلا أن تعاطيه من أكبر المشاكل في بعض الدول.

ويجرب المراهقون المخدرات (سـوء استعمال العقاقير) في بعض الدول لأسباب عديدة منها:

١ -إلحاح الأصدقاء

٢ - محاكاة الوالدين

٣ - حب الاستطلاع.

ويمـر معظمهـم بفترة التجربـة بدون أن يقعوا في مشـكلة الإدمان. لكن بعضهم يكونون أقل حظًّا.

لـم تُفهـم بعد أسـباب سـوء اسـتعمال العقاقير. قـد يقود الملل بعض المراهقين للإدمان، أو تقودهم رغبة خفية للهروب مـن الضغـوط العقليـة أو العاطفيـة. ولا شـك أن الفـراغ الديني سـبب رئيسـي في ذلك، وأقل المراهقين تعرضـاً لخطر الإدمان هـم أولئك الذيـن يلتزمـون بتعاليم الإسـلام ويشـعرون بأهمية وجودهم[1].

ويـؤدي الإدمـان علـى المخـدرات إلـى خـراب العقـل، واللجـوء إلـى السـرقة وربمـا القتـل مـن أجـل توفيـر كمية من المخـدرات ممـا قد يدفعهـم للتنازل عن شـرفه وعرضـه ودينه وماله... وكل شـيء من أجـل توفير ما يحتاجه مـن مواد مخدرة كي يعيش في وهم اللذة، وأحلام الهروب من الواقع!!

إن علـى الشـباب أن يتأملـوا فـي أنفسـهم، وأن يسـلكوا طريـق الحق والخير والصلاح، وأن يحذروا الوقوع في فخ مافيا المخـدرات التي تروج لها فـي كل مكان وبمختلف الأسـاليب والطرق لاصطياد المراهقين والشباب.

ليسـأل كل شاب نفسه: هل هو مسـتعد لبيع دينه وأخلاقه وشـرفه وعرضـه مـن أجـل حقنـة مـن المخـدرات وجرعة من المسكرات؟! هل هو جاهز من أجل خسارة دنياه وآخرته مقابل

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ج٢٣، ص٧٩.

الشعور بلذة زائلة؟! هل يقبل بتدمير مستقبل عائلته وأطفاله مقابل السباحة في بحر المخدرات والمسكرات؟!

وليكن نصب أعيننا دوماً أن الآخرة هي دار الخلود والمستقر والنعيم الدائم، وأن ثمن ذلك التقوى والعمل الصالح.

٣- الاستماع إلى الأغاني والموسيقى المبتذلة:

تروج الثقافة المادية للأغاني الهابطة والموسيقى المبتذلة التي تساعد على خلق الأجواء والأرضية المناسبة للهو واللعب والانحراف الأخلاقي.

ولما للأغاني من أضرار عدة فقد حرم القرآن الكريم الاستماع إليها كما في قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾[١] والمقصود بالرجس من الأوثان: الشطرنج، وقول الزور: الغناء كما في التفاسير. وقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾[٢]. ولهو الحديث: الغناء.

كما حرم الفقهاء الاستماع لكل موسيقى مناسبة لمجالس

(١) سورة: الحج، الآية: ٣٠.
(٢) سورة: لقمان، الآية: ٦.

أهل الفسق والفجور، وأي موسيقى مبتذلة، كما حرموا صناعة آلاتها المختلفة.

إن الموسيقى مضافاً لأضرارها المعنوية والأخلاقية، كحب الشهوات، وسحق القلوب، وحرمان الإنسان من متعة الأنس بالله، وهتك حجاب البراءة، وخفة العقل، وتهيئة أرضية ارتكاب الذنوب، وعدم استجابة دعاء الإنسان، لها أيضاً آثار سيئة تلحق بالجسم والروح، وهي أضرار أصبحت ثابتة في نظر العلم الحديث.

يقول البروفيسور (ودلف آدلر): «إن الموسيقى علاوة على ما تسببه من تعب الأعصاب، نتيجة لدقة الاستماع الخارجة عن الحد الطبيعي، فأن الاهتزازات الصوتية التي تنبعث عن الموسيقى تؤدي إلى تعرق البشرة بنحو يتجاوز الحد الطبيعي، ولهذا أضرار كثيرة، ومن الممكن أن يكون منشأ لأمراض أخرى، وأن أكثر أشرطة الموسيقى تأثيراً في مشاعر الإنسان، هو أكثرها تحطيماً لأعصاب الإنسان، وإن أضرارها يتضاعف إذا كان الجو حاراً»[١].

ثم إن تفاعل الإنسان مع الألحان الغنائية والموسيقى المبتذلة يؤدي إلى الإدمان عليها، والانشغال بها، والابتعاد

---

(١) الشباب في عاصفة الغرائز، همت سهراب بور، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٦٣.

- تدريجياً - عن ذكر الله تعالى، وضعف القيم المعنوية والأخلاقية، والالتذاذ بسماع المحرمات المرئية والمسموعة، وشيئاً فشيئاً يضعف عند الإنسان التقوى والإيمان والورع، وهو مصداق لقول الله تعالى: ﴿**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**﴾[1].

وللأسف الشديد فقد استطاعت الثقافة المادية أن تترك بصماتها في جيل الشباب، فأصبح بعض الشباب مدمناً على استماع الأغاني الهابطة والفاحشة، واستماع الموسيقى المناسبة لمجالس أهل الفسق والفجور...وهو الأمر الذي يؤدي إلى الوقوع في مستنقع الفساد والرذيلة والانحراف.

ثالثاً- الآثار السلوكية والتربوية:

من أوضح التأثيرات للثقافة المادية الغربية هو الإفرازات السلوكية والتربوية التي نلحظها على جيل الشباب، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى مجموعة من السلوكيات الخاطئة ومنها:

١ - التقليد الأعمى لنجوم ومشاهير الفن والغناء والتمثيل والرقص.

٢ - قصات الحلاقة غير اللائقة، والتي فيها تقليد واضح لصيحات الحلاقة الغربية.

(١) سورة: البقرة، الآية: ١٦.

٣- ارتداء الملابس الضيقة والقصيرة جداً للشباب والفتيات، إذ نلاحظ أن بعض الشباب يستعرضون أمام الناس وفي الشوارع العامة أحدث الموديلات في الأزياء الرجالية، أما الفتيات فإن مسايرة الموضة في الألبسة أصبحت شيئاً من طبيعة المرأة المعاصرة!

٤- تشبه الرجال بالنساء، والفتيات بالشباب (البويات)، لدرجة أصبح الإنسان أحياناً لا يفرق بين الشاب والفتاة!

٥- لبس بعض الشباب لحلي الذهب، كالخواتيم والأساور والسلاسل الذهبية، وهذا أمر محرم على الرجال.

٦- العلاقات السرية غير المشروعة بين الشباب والفتيات، والتي تبدأ من محادثة أو تعارف عبر شبكة الإنترنت أو من خلال الموبايل، ثم تتطور شيئاً فشيئاً إلى علاقات حميمية محرمة.

٧- السباحة المختلطة في شواطئ البحار أو في الفنادق الضخمة أو المنتجعات وبصورة تدعو للفحشاء والمنكر.

٨- التمرد على القيم والآداب الاجتماعية، والقيام بأعمال استفزازية للمجتمع كالتفحيط بالسيارات وغلق الشوارع العامة، أو إطلاق عيارات الأسلحة في حفلات الزواج، أو القيام بالغناء والرقص أمام الناس وبدون أي حياء.

٩- عقوق الوالدين، وعدم إطاعة أوامرهما، أو الاستماع لنصائحهما، أو مساعدتهما على ظروف الحياة الصعبة، أو الإساءة إليهما.

١٠- التجاهر بالمعاصي، والتفاخر أمام الأصدقاء وغيرهم بارتكاب المحرمات والموبقات، وابتزاز الفتيات عبر التهديد بنشر صورهن على النت إن لم يستجبن لمطالبهن غير المشروعة.

هذه مجرد نماذج من السلوكيات التي تنم عن تأثر بعض الشباب بالثقافة المادية التي تضخ لجيل الشباب عبر مختلف الوسائل والأساليب الحديثة لنشر الفساد والانحراف، وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[1].

وهذا يستدعي من الآباء والمربين الانتباه جيداً لسلوكيات وتصرفات أولادهم وتلامذتهم، ومعالجة أية سلوكيات منحرفة تبدأ بالظهور منهم، قبل أن يصل الأمر لدرجة لا يمكن معها الإصلاح أو التربية.

فالقيم التربوية والسلوكيات السّوية بدأت تتزلزل بين أبناء الجيل الجديد، وتنشأ عندهم قيم جديدة، وسلوكيات جديدة، وأصبح هناك من الكتّاب من يدافع عنها بحجة أنها تعبر عن ثقافة

(١) سورة: الروم، الآية: ٤١.

العصـر، وقيـم الحداثة والتطـور! وكأن الانحـراف أصبح دليل التطور والتقدم! والفسـاد عنوان التحضر، والسـلوكيات الشاذة مؤشـر علـى الانفتـاح، وهـي مفاهيم بـدأت تغزو عقـول بعض شـبابنا وفتياتنـا، وهـو الأمر الذي يدعـو إلى اليقظـة، والاهتمام بالتربيـة، وتعديل السـلوك، ويحثنا القـرآن الكريم على ذلك من خلال الدعـوة إلى الاهتمام بالأهل كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾[2] فالدعوة إلى الاهتمـام بالصلاة التي هي عمود الديـن، ووقاية الأهل والعائلة مـن النـار عبر الالتزام بمـا أمر الله تعالى بـه، واجتناب نواهيه لا يتحقق إلا من خلال التربية وفق المنهاج الإسلامي القويم.

رابعاً- الآثار الثقافية:

تأثر الشـباب بالثقافة المعاصـرة يبدو من الوضوح لدرجة لا تحتـاج إلى إثبات أو دليل عليها، ونحن هنا لا نمانع من التأثر الإيجابي بالثقافة المعاصرة في جوانبها المشرقة؛ لكن المشكلة أننـا نتأثـر بأسـوأ ما يصـدر إلينا مـن ثقافـة الغرب ورؤيتـه تجاه

---

(١) سورة: التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة: طه، الآية: ١٣٢.

مختلف القضايا والأمور.

وقد أصبحت الهوية الثقافية لشخصية الشباب المسلم مهددة بالأخطار والآثار الثقافية الغربية، «ويمكننا تشبيه المشاكل الأساسية التي تواجهها أغلبية الشباب فيما يخص الهوية الثقافية بمثلث تتكون أضلاعه الثلاثة من:

أ- الضلع الأول: ويمثل الشباب الذين لم يعوا بشكل صحيح واقع الثقافة الأصلية (القومية) التي نشأوا على أساسها أي أنهم لا يفقهون بالضبط لأي ثقافة ينتمون. إنهم يجهلون مفاخر ثقافتهم القومية وامتيازاتها فتعصف بهم كل زوبعة تهب وكأنهم غرسة طرية، في هذه الحالة ينقطع ارتباط الشاب بالثقافة وتُمحى الأواصر بينهما أيضاً.

ب- الضلع الثاني: وهم الشباب الذين يتمتعون بمعرفة نسبية غير متكاملة بثقافتهم القومية ولكنها لم تصل إلى حد الإيمان الثقافي بعد، أي أن معرفتهم لم تتجاوز في الواقع حدود المعرفة الإجمالية لتجد طريقها نحو الثقة المتكاملة، ولهذا لم تتكون بينهما علاقة منطقية.

ج- وأخيراً، الضلع الثالث وهم الشباب المتمتعون بالعقيدة أو الإيمان الثقافي إلا أنهم يضعون ثقافتهم وحضارتهم اعتباطياً في مستوى أدنى، أحط وأضعف من ثقافة وحضارة الشعوب والبلدان الأخرى والمجتمعات الصناعية المتقدمة

على وجه الخصوص»[1].

وعادة مثل هذا الشعور النفسي يكون ناشئاً من الانبهار بالثقافة الغربية، وبمنجزاتها الصناعية، مما يؤدي إلى النظر إلى الثقافة الإسلامية على أنها في رتبة أدنى من الثقافة الأخرى، وهذا الشعور خاطىء، لأن التقدم الصناعي له أسباب كثيرة، ليس من بينها التخلي عن الدين، بل العكس هو الصحيح، إذ أن الدين الإسلامي يدعو أتباعه إلى الأخذ بأسباب التقدم والتحضر.

لكن بفعل الضخ الثقافي الغربي لمجتمعاتنا الإسلامية نجد مجموعة من التأثيرات على شبابنا...منها:

١ - الفصام الثقافي: ونقصد به فقدان الانتماء الثقافي للهوية الإسلامية، والتأثر بالثقافة الغربية واعتبارها الأجدر في صناعة التقدم والتحضر.

٢ - تقديس آراء العلماء والمفكرين الغربيين، وتجاهل ثقافة القرآن الكريم، وما ورد عن رسوله ﷺ وأهل بيته الأطهار.

٣ - عدم تبني الثقافة الإسلامية، والشعور النفسي بأنها لم تعد صالحة لهذا الزمان، ووجود قناعة ثقافية عند البعض من الشباب بأنها كذلك.

---

(١) الشباب وأزمة الهوية، د. محمد رضا شرفي، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص١٥٥.

٤- التخلي عن جميع مكونات الهوية الثقافية للشخصية المسلمة، وتقليد الغرب في جميع مكونات هويته الثقافية.

٥- طرح مفاهيم ثقافية تصطدم صراحة بالمفاهيم الإسلامية كالحجاب، ومسائل الإرث، وأحكام القصاص، وتاريخية القرآن... وغير ذلك كثير.

٦- القيام بسلوكيات وأفعال شبابية تنم عن التأثر بالثقافة الغربية، والابتعاد عن الثقافة الإسلامية.

هذه الآثار الثقافية نلمسها بوضوح لدى بعض الشباب في المجتمعات الإسلامية، ولا بد من العمل على استعادة ثقة الشباب بهويتهم الثقافية، وتوضيح عيوب وثغرات الهوية الثقافية للغرب، فليس كل ما لدى الغرب جيد وحسن، وإنما علينا الاستفادة من المنجزات الثقافية المفيدة، واجتناب بضاعته الثقافية الفاسدة.

خامساً- الآثار الاجتماعية:

إن الشباب يكتسبون القيم والسلوك والاتجاه من خلال التفاعل مع المجتمع، ومحاولة إثبات الوجود اجتماعياً، من أجل تحقيق التكيف الاجتماعي.

إلا أن الثقافة المعاصرة ساهمت بشكل كبير في خلخلة القيم الاجتماعية التقليدية، وزرعت عند الجيل الجديد قيم

وعادات اجتماعية جديدة لم تكن مألوفة من قبل.

ولعل من أهم سلوكيات الشباب على الصعيد الاجتماعي هو ظاهرة الرفض لكل القيم الاجتماعية القديمة، والعمل على إحلال قيم اجتماعية جديدة محلها.

وهذه «الظاهرة التي تعرف باسم ظاهرة (الرفض) الذي يتبدى بين الشباب للمعايير والقيم والسلطة والتوجيه الذي يمارسه الكبار، بل من اللافت للنظر أن هذا الرفض أصبح يمثل موقفاً عاماً موحداً، يظهر بصورة سافرة في مواقف عديدة ومجتمعات مختلفة، من حيث درجة تقدمها الحضاري وطبيعة النظام السياسي السائد فيها، لكن الشيء الذي ينبغي أن نشير إليه أيضاً أن ذلك الرفض، الذي يظهر بين الشباب، يتبلور داخل اتجاهات أو بناءات محددة، مرتبطة إلى حد بعيد بالظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع. مثال ذلك أن الرفض الذي يظهر بين الشباب في دول أوروبا وأمريكا مختلف فيما يتعلق بأساليب التعبير عنه ومحتواه وغاياته عن نماذج الرفض الأخرى التي تصدر عن الشباب في أقطار عديدة من العالم الثالث، ويفسر ذلك بالطبع إلى جانب التفسير التاريخي البنائى في ضوء الظروف الراهنة للمجتمع والنسق القيمى السائد فيه.

وتكمن أهمية الشباب بالنسبة للمجتمع فيما يمثله الشباب من مصدر للتجديد والتغيير فهم عادة ما يرفعون الحديث من

السلوك والعمل، من خلال القيم الجديدة، التي يتبناها الشباب والتي عادة ما تدخل في مواجهة مع ما هو سائد من قيم تقليدية، ولهذا يعد الشباب مصدراً رئيسياً من مصادر التغيير الثقافي والاجتماعي في المجتمع ككل»[1].

لكن هذا التغيير قد يكون إيجابياً فيما إذا كان يحمل رؤية جديدة تستطيع الانتقال بالمجتمع نحو المزيد من التقدم الثقافي والاجتماعي والحضاري، وربما يكون سلبياً كما إذا كان من أجل التخلي عن القيم الاجتماعية المستمدة من روح الإسلام، وإحلال قيم اجتماعية جديدة منبثقة من الرؤية الغربية، وهويته الثقافية.

ومن الآثار الاجتماعية السلبية للثقافة المعاصرة هو اختلال المعايير الاجتماعية أو غيابها، وهو ما يؤدي إلى الإخلال بالتوازن الاجتماعي.

ومن أجل الحفاظ على البيئة الاجتماعية الصالحة يجب دراسة الأبعاد المختلفة للتغيرات الاجتماعية، والتمييز بين ما هو سائغ ومباح، أو غير سائغ ومضر بقيم المجتمع وعاداته، ولتنجح أي محاولة للحفاظ على قيم المجتمع ينبغي تعزيز القيم الاجتماعية المفيدة، ولا مانع من الاستفادة من القيم الجديدة التي لا تتعارض مع القيم الإسلامية.

---

(١) الطفل والشباب في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، طبع عام ٢٠٠٢م، ص ١١٤ - ١١٥.

سادساً- الآثار الاقتصادية:

اقتصاد العولمة يحكمه قانون القوة دون ما عداه، ويشكل الفساد الكوني أحد أبرز الأوجه المظلمة للعولمة، مما يهدد الصحة النفسية الفردية والصحة المجتمعية في الآن عينه. هناك راهناً عولمة المافيات الدولية والجريمة المنظمة عابرة القارات في مجالات المخدرات وغسيل الأموال والتهريب وسياحة الجنس وتجارة الأعضاء. تدر هذه الجريمة المنظمة المعولمة أرباحاً طائلة توازي دخل النفط عالمياً. ولها كارتلات دولية منظمة بلغت من القوة والسطوة مستوى يتعذر معه محاربتها من قبل الدول. إنها أصبحت قوة فوق دولية، تشتري الشرطة والقضاء والحكام. وهو ما دعا ليكن (١٩٩٧م) إلى الحديث عن وباء الفساد المعولم. وتشكل المضاربات بالأسهم ومافياتها من أصحاب السطو على مدخرات المواطنين واحتياطيات الدول، نموذجاً عالمياً عرف له مآسيه الخليجية مؤخراً.

يحتاج هذا الوجه المظلم إلى حصانة خلقية فردية ومجتمعية عالية جداً لمقاومته. ويصيب الشباب من ذلك النصيب الأكبر حيث يتم اصطياد بعضهم من قبل مافيات المخدرات. وإنه لمن المثير للدهشة أن يقتصر طرح قضية المخدرات على من يتعاطونها من الشباب، مع السكوت التام عن مافياتها الكبرى المحمية جيداً. هنا أيضاً تبرز الحاجة إلى بناء الاقتدار الكلي للشخصية، لدى جيل

الشباب الخليجي المعرض لمختلف الإغراءات التي تفاقمها وفرة المصروفات لدى الشريحة المحظية منهم[1].

وتشتغل العولمة على أربع استراتيجيات متكاملة لبسط سلطانها: استراتيجية اقتصاد السوق وإطلاق العنان لحريته وكسر الحدود الوطنية أمام سطوته، استراتيجية سياسية تدعم الاقتصاد وتكرس هيمنته من خلال إخضاع مختلف الدول الصغيرة، استراتيجية عسكرية تفرض الإخضاع على من يطلق عليهم تسمية «الدول المارقة»، واستراتيجية ثقافية تحاول بناء نمط حياة وتوجهات وقيم ومرجعيات سلوكية تخدم هيمنتها. ويطلق على الإستراتيجية الثقافية اسم التحكم الناعم في مقابل التحكم السياسي والعسكري. يتوسل التحكم الناعم وسائل الإغراء والغواية من خلال نشر ثقافة الاستهلاك، وثقافة اللذة والمتعة التي تقوم بها القنوات الفضائية وبرامجها. إننا بصدد تدجين الأذهان والنفوس، وإدارة الإدراك بأشكال جذابة وممتعة ومحببة تمثل الحيوية والحياة. ومنها يترسخ التوجه المحابي للعولمة بين جيل الشباب، مع انحسار تدريجي للهويات والانتماءات الوطنية التقليدية. وتكمن المشكلة الفعلية في أن هذه الانتماءات بثقافاتها الجامدة والمحافظة، والتي يتفاقم فيها نطاق المحظور المفروض على جذوة الحياة وانطلاقتها، تعجز

---

(١) الشباب الخليجي والمستقبل، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ١٥٤ - ١٥٥.

عملياً عن مجاراة التنميط الناعم وقولبته للأذهان والنفوس والميول لدى جيل الشباب. هنا أيضاً تبرز أهمية بناء الاقتدار على صعيد متانة الانتماء وحصانته وقدرته على المجاراة، من خلال توفير الهويات الحية المنتجة وذات الجاذبية[1].

والآثار الاقتصادية التي أوجدتها الثقافة المادية المعاصرة على جيل الشباب كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١ - تشجيع الشباب على ثقافة الاستهلاك، ومتابعة أحدث المنتوجات الغربية، ومسايرة الموضة في هذا الشأن.

٢ - دفع الشباب نحو الاستقراض من البنوك الربوية، أو جعلهم مدينين لتلك البنوك على مدار سنوات طويلة.

٣ - سلب أموال الشباب من خلال عمليات احتيال ونصب متنوعة، عبر إغرائهم بالثراء السريع والمريح.

٤ - تغليب النزعة المادية عند جيل الشباب على أية اعتبارات أخرى، وجعل المال هو مقياس التفاضل بين الناس.

٥ - نتيجة لعدم قدرة بعض الشباب على مسايرة ثقافة الاستهلاك يلجأون إلى انحرافات اقتصادية كالسرقة أو النصب والاحتيال من أجل توفير أموال يستطيعون من خلالها توفير رغباتهم المادية.

---

(١) الشباب الخليجي والمستقبل، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ١٥٥.

٦- اقتصـاد العولمـة يقوم على زيادة الغنـي غنى، والفقير فقراً، وهو ما نشاهده اليوم في المجتمعات الرأسمالية بـكل وضـوح، حيـث تنشـأ الطبيعـة الاقتصاديـة والاجتماعية بأبشع صورها.

٧- قيـام الكثير مـن مافيات الاقتصاد بأعمـال محرمة من أجل الكسـب غير المشـروع كالمتاجـرة بالمخدرات و المسـكرات، وتجـارة الجنـس، وتجـارة القمار... وغيرها من الأعمال المحرمة.

هذه الإفرازات الاقتصادية تركت آثارها السلبية على جيل الشباب، وزادتهم ضياعاً إلى ضياع، حيث يشعر الكثير من الجيل الجديـد بالقلق، ووالتعاسـة، والخوف من المسـتقبل، والوقوع فـي المحرمات، وهذا هو حال كل من يتبع منهجاً غير منهج الله تعالى الذي يوجد عند المؤمن التمتع بالسعادة والراحة النفسية؛ وقـد أشـار الله تعالـى لذلك في قوله تعالـى: ﴿**فَمَن يُـرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْـرَحْ صَـدْرَهُ لِلإِسْـلاَمِ وَمَن يُـرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَـلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّـمَاء كَذَلِـكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَـى الَّذِيـنَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[١]، ويقـول تعالى: ﴿**وَمَـنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[٢].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٢) سورة: طه، الآية: ١٢٤.

الفصل الثالث

رُؤية قرآنية في مُعالجة التحدي الثقافي المُعاصر

مــدخــل

أمام التحدي الثقافـي والمعرفي المعاصر، وإفرازاته على أكثـر من صعيـد، وتأثيراتـه على الجيـل الجديد مـن المراهقين والشـباب.. فإن السؤال الذي يطرح نفسـه هنا: كيف نواجه هذا التحدي الثقافي الخطير؟ وكيف يعالج القرآن الكريم آثار الثقافة المادية على الشـباب؟ وما هي الإرشادات القرآنية للحفاظ على القيم والمبادئ والمثل والأخلاق الإسلامية؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال الرؤية القرآنية عبر محورين مهمين وهما..

المحور الأول: أساليب وقائية، ويتناول الأساليب التالية:

١ – الارتباط بالله تعالى.

٢ – تزكية النفس.

٣– تقوية الإرادة.

٤ – إعمال العقل.

٥- الزواج المبكر.

٦- صناعة خطاب ثقافي مميز.

أما المحور الثاني: أساليب علاجية فيشتمل على الأساليب التالية:

١- الرجوع إلى الدين.

٢- التوبة من كل ذنب.

٣- تعديل الغرائز والميول.

٤- التركيز على عيوب الثقافة المادية.

٥- إيجاد البدائل.

هـذه هي أهـم العناصر التي يمكن اسـتنطاقها مـن القرآن الكريم في معالجة التحدي الثقافي المعاصر، وكي تتضح الرؤية القرآنيـة في ذلك لابد مـن الدخول في تفاصيل تلك الأسـاليب سواء الوقائية منها أو العلاجية.

المحور الأول: أساليب وقائية

يركز القرآن الكريم على الأســاليب والوسائل الوقائية في الحمايـة من أية أمـراض ثقافية قد تؤدي إلى انحراف الإنســان، ووقوعه ضحية في مستنقع الفساد والانحراف والرذيلة، والوقاية خير من العلاج كما تقول الحكمة الشهيرة، فإذا كان لدى الشباب مناعـة ثقافية قوية فلن يتأثروا بأية فيروســات ثقافية ضارة، وهذه المناعة تقوى وتنمو من خلال إتباع الأساليب الوقائية التالية:

١- الارتباط بالله تعالى:

مـن أقوى الأســاليب الوقائية فـي مواجهة الثقافـة المادية المعاصـرة الارتبـاط باللـه تعالـى فـي كل وقـت ومـكان، فهذا الارتبـاط يقوي إيمان الإنسـان، يقـول تعالى: ﴿**الَّذِيـنَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامـاً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[١]،

(١) سورة: آل عمران، الآية: ١٩١.

فالمؤمـن يذكر اللـه في كل حال، فـي القيام والقعـود، وفي كل وقـت، أمـا المنافق فـلا يذكر اللـه إلا قليلاً كما فـي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُـواْ كُسَـالَى يُـرَآؤُونَ النَّـاسَ وَلاَ يَذْكُـرُونَ اللّـهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

ومن ينغمس في الشـهوات والملذات المحرمة فإن الشيطان قد اسـتحوذ عليه، ومن يستحوذ عليه الشيطان ينسى ذكر الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]، في حين إن الشـاب المؤمن عندما يكون إيمانه قوياً فلا شيء في الدنيـا من مغريات وإغراءات يمكن أن تؤثـر عليه، يقول تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[3].

ومن صفـات المؤمـن التفاعـل الوجدانـي والعاطفي مع ذكـر الله عـز وجل، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّـهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَـتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُـمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِـمْ يَتَوَكَّلُـونَ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِـرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُـمْ وَالصَّابِرِيـنَ عَلَـى مَـا أَصَابَهُـمْ وَالْمُقِيمِي الصَّـلَاةِ وَمِمَّا

---

(١) سورة: النساء، الآية: ١٤٢.

(٢) سورة: المجادلة، الآية: ١٩.

(٣) سورة: النور، الآية: ٣٧.

(٤) سورة: الأنفال، الآية: ٢.

رَزَقْنَاهُـمْ يُنفِقُونَ﴾[1]. فذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، والتوكل علـى الله كما في الآية الأولى من صفات المؤمن الصادق، وفي الآيـة الثانية. إضافة لذلك، الصبر على المصائب، إقامة الصلاة، الإنفاق في سبيل الله...كلها صفات للمؤمن الصادق.

ويأنس المؤمن بذكر الله، ويشعر براحة قلبية كما في قوله تعالـى: ﴿الَّذِيـنَ آمَنُـواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُـم بِذِكْرِ اللّـهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِـنُّ الْقُلُوبُ﴾[2] واطمئنان القلوب لا يشـعر به إلا من تذوق حلاوة الإيمان وعذوبته.

ومـا أحلـى الشـاب عندمـا يكـون قـوي الإيمـان، دائـم الارتباط بالله تعالى، يلهج لسـانه بذكر الله في كل وقت وحين، هذا الشـاب يباهي الله عز وجل به ملائكته، إذ ورد عن الرسـول الأعظم ﷺ: «إن أحب الخلائق إلى الله عز وجل شاب حدث السن في صورة حسنة جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك الـذي يباهي بـه الرحمـن ملائكته، يقـول: هذا عبدي حقـاً»[3]، وعـن الرسـول الأعظم ﷺ أيضـاً قال: «ما من شـاب يدع لله الدنيا ولهوها وأهرم شبابه في طاعة الله إلا أعطاه الله أجر اثنين

---

(١) سورة: الحج، الآية: ٣٥.

(٢) سورة: الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج٤، ص ١٤٠١، رقم ٩٠٩٦.

وسبعين صديقاً»[1].

والارتباط بالله تعالى يجب أن يترجمه الشباب بالالتزام بما أمر الله تعالى به من أوامر، واجتناب عما نهى الله عنه من محرمات وموبقات، ومداومة على أداء العبادات والشعائر الدينية كالصلاة والصوم والحج والزكاة... وغيرها من العبادات الواجبة.

مثل هذا الشاب المؤمن يكون أحد السبعة الذين يشملهم ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، فقد ورد عن الرسول الأعظم ﷺ قوله: «سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل»[2] كما يكون محبوباً عند الله تعالى، فقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ قوله: «إن الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في طاعة الله تعالى»[3].

وعندما يقوى إيمان الشباب بالله تعالى، ويكونون على صلة دائمة بالخالق عز وجل، فإن هذا أكبر وقاية من أي انحراف ثقافي أو أخلاقي أو أي نوع من أنواع الانحرافات، فللإيمان

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج٤، ص ١٤٠١، رقم ٩٠٩٥.
(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج٤، ص ١٤٠١، رقم ٩٠٩٤.
(٣) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج٤، ص ١٤٠١، رقم ٩٠٩٧.

آثـار عظيمـة على شـخصية الشـباب، إذ تنمي عندهـم الحصانة العقائدية، والنظر إلى الآخرة كدار للمسـتقبل، والخوف من الله عز وجل في السـر والعلن، والإتيان بالأعمـال الصالحة، وعدم ارتكاب أية موبقات أو محرمات مهما كان حجمها.

لذلـك تحـاول الثقافـة الماديـة أن تزعـزع إيمـان الشـباب بعقائدهم وثوابتهم الدينية، وتتبع لذلك أساليب مختلفة، وبالتدريج حتى تتمكن من الاستحواذ عليهم، وسلب مناعتهم الإيمانية.

وعليه، فإن أهم وسـيلة وأسلوب لحماية الشباب من الثقافة الماديـة المعاصـرة هو تقوية دعائـم الإيمان في نفوسـهم، وتثبيت الارتبـاط باللـه تعالى في كل وقـت وحالة، وعندهـا لا يمكن لأية ثقافة منحرفة أن تزعزع التزام الشباب بالثقافة الإسلامية الأصيلة.

٢- تزكية النفس:

ترشـدنا الكثير من الآيات الشريفة إلى أهمية تزكية النفس حتى تستجيب لأوامر العقل، وإلا إن لم تزكَ النفس فستستجيب لدعوات الهوى، وسـتتحول عندئذ نفس الشاب إلى نفس أمارة بالسـوء، يقول تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَـا رَحِـمَ رَبِّـيَ**﴾[1]. والشـيطان دائمـاً يأمر الإنسـان بالسـوء والفحشـاء، يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّـوءِ وَالْفَحْشَـاء وَأَن**

(١) سورة: يوسف، الآية: ٥٣.

تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1] وعندما يطيع الشباب الشيطان فإنه سيتحول إلى عبد من عبيد الشهوات، يقول تعالى: **﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾**[2]، والغي هو العذاب الأليم في جهنم!

والإنسان له قابليتان: قابلية التزكية والصلاح وقابلية الفساد والانحراف، يقول تعالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**[3]، ومن ثم، فهو المسؤول عن اختياره، فالله بيّن لنا الطريقين، طريق الخير وطريق الشر كما في قوله تعالى: **﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾**[4] أي نجد الخير ونجد الشر، وعليك اختيار أحدهما، وتحمل مسؤولية اختيارك في الآخرة.

وتزكية الشباب لأنفسهم من أهم الأساليب الوقائية التي تحميهم من الانحراف، أو الانجراف وراء فساد الثقافة المادية المنحرفة، أو الوقوع ضحية في مستنقع الفساد والرذيلة.

والشباب الذين يواجهون في هذا العصر مغريات وإغراءات الفساد والإفساد، وحيث طريق الانحراف سهل ويسير ومتاح لكل شاب، عليهم تزكية أنفسهم بالأعمال الصالحة، والتحلي بالفضائل الأخلاقية، وقلع الرذائل والموبقات من أنفسهم حتى

---

(١) سورة: البقرة، الآية: ١٦٩.

(٢) سورة: مريم، الآية: ٥٩.

(٣) سورة: الشمس، الآيتان: ٧– ٨.

(٤) سوزة البلد، الآية: ١٠.

يتمكنوا من مواجهة ضغوط الشهوات وإدمان الانحراف.

فالتحلي بالأخلاق من أهم مقومات التزكية، وأجمع أية أخلاقية قوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[1] فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لا آية في القرآن أجمع في المسائل الأخلاقية من هذه الآية»[2].

قال بعض الحكماء في تفسير هذا الحديث: إن أصول الفضائل الأخلاقية وفقاً لأصول القوى الإنسانية «العقل» و«الغضب» و «الشهوة» تتلخص في ثلاثة أقسام:

١- الفضائل الأخلاقية: وتدعى بالحكمة، وتتلخص بقوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾.

٢- والفضائل النفسية في مواجهة الطغيان والشهوة، وتدعى بالعفة، وتتلخص بـ﴿**خُذِ العَفْوَ**﴾.

٣- والتسلط على النفس إزاء القوة الغضبية، وتدعى بالشجاعة، وتتلخص في قوله تعالى: ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[3].

---

(١) سورة: الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج ٥، ص ٣١٢.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج ٥، ص ٣١٢.

والتربية الروحية من مقومات التزكية أيضاً، ونعني بها: تنمية القيم والمثل الروحية، وتغذية النفس بالمعنويات والروحانيات، وتعد العبادات من صلاة وصوم وحج... وسائل مهمة في البناء الروحي، كما أن لتلاوة القرآن الكريم، والمداومة على الأدعية المأثورة، والإتيان بالمستحبات والمندوبات، وترك المكروهات فضلاً عن المحرمات الأثر الكبير في بناء الروح وتغذيتها.

وتعد تنمية الإرادة، والشجاعة النفسية في مواجهة طغيان الغرائز، وثوران الشهوات... مقوم مهم من مقومات تزكية النفس، وبذلك يتمكن الشباب من النجاح والفلاح في مواجهة الثقافة المادية وفلسفتها المبنية على كل ما هو مادي ومحسوس، ورفض كل ما هو قيمي ومثلي، فالشباب المؤمن والصادق هو من ينتصر في النهاية في معركة الخير والشر، بانتصار الخير والحق على الشر والفساد، يقول تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**﴾[1]. فإذا أردت أن تكون من الفالحين في الآخرة فطهر نفسك من الذنوب والموبقات والمعاصي، وكن دائم المراجعة والمحاسبة والتقويم الذاتي لتزكية نفسك بالفضائل والصفات الحسنة، وبالأعمال الصالحة... فهذا هو طريق النجاح والفلاح.

---

(١) سورة: الشمس، الآية: ٩.

٣- تقوية الإرادة:

يعيش الإنسان في مرحلة الشباب فترة ثوران الشهوات والغرائز، وفي مواجهتها يجب بناء الإرادة وتقويتها، فهي من الأساليب والوسائل الوقائية التي تحمي الإنسان من الوقوع في الأخطاء والموبقات والمحرمات.

ويحدثنا القرآن الكريم في سورة يوسف عن دور الإرادة وقوة الإيمان في مواجهة طغيان الشهوات وضغوط الإغراءات، فيوسف الشاب الذي كان يعيش في قصر الملك، وإذا بسيدة القصر امرأة العزيز تراوده عن نفسه، في جو مساعد على فعل الفاحشة، فيوسف في عنفوان شبابه وامرأة العزيز امرأة جميلة ومتزينة بأحلى ما لديها من ألبسة وحلي، تريد منه أن يمارس معها الفاحشة، وأجواء القصر بكل ما فيه يساعد على مضاعفة هيجان الشهوة، يقول تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾ لكن نبي الله يوسف عليه السلام رفض ذلك بقوة: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[1] ولولا أن يوسف رأى برهان ربه لهمّ بها كما همت﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾[2]

---

(١) سورة: يوسف، الآية: ٢٣.
(٢) سورة: يوسف، الآية: ٢٤.

وتتجلى إرادة يوسف مرة أخرى عندما أصرت امرأة العزيز على فعل الفاحشة أو السجن، وهو اختيار صعب أمام أي شاب، ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[1] لكن يوسف اختار السجن وعذابه على لذة الشهوة المحرمة، ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[2].

ويتعرض يوسف وهو الشاب الذي عرف بروعة جماله وكماله مرة ثانية لامتحان عسير، حيث يتعرف عليه مجموعة من النساء ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[3] إذن عاش يوسف في هذه اللحظات في جو مشحون من الإثارة الشهوانية، فكل شيء يدعو لفعل الفاحشة مع نساء جميلات، إنه الامتحان الصعب الذي اجتازه يوسف بإرادة قوية، وعزيمة لا تلين، فارتفع وسما، وانتصر على كل المغريات.

---

(١) سورة: يوسف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة: يوسف، الآية: ٣٣.

(٣) سورة: يوسف، الآيتان: ٣٠ - ٣١.

وفـي هذه القصة يحدثنا القـرآن الكريم عن دروس بليغة، أهمها إن الشاب بقوة إرادته يستطيع الانتصار على كل المغريات والشـهوات، وفـي هـذا العصر، عصـر الإعلام الفاضـح، عصر الإثارة لكل شيء شهواني، عصر المغريات والإغراءات الداعية لارتكاب الفواحش والموبقات، يمكن للشـباب مواجهتها بقوة الإرادة النابعة من صلابة الإيمان.

وترسـم لنا سـورة يوسـف القيم الإيجابية التي اتصف بها نبـي اللـه يوسـف عليه السلام لتكـون قدوة لكل شـاب فـي كل زمان ومكان، وهذه القيم الإيجابية التي يرسمها لنا القرآن هي:

١- الصبـر والثبـات والصمـود فـي مواجهـة الغرائـز والشهوات ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[١].

٢- قيمـة الدعـوة إلى الله في داخل السـجن ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[٢].

٣- الطمـوح والثقـة بالنفس ﴿**قَـالَ اجْعَلْنِي عَلَـى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾[٣] فيوسف كان طموحه أن يكون وزير الماليـة بتعبير هـذا العصر، وهذا ما تحقق لـه، وكان هدفه نصرة الحق ونشر الخير.

---

(١) سورة يوسف: الآية: ٣٣.
(٢) سورة: يوسف، الآية: ٣٩.
(٣) سورة: يوسف، الآية: ٥٥.

٤- البر والإحسان إلى الوالدين ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً**﴾(١).

٥- الصفح عن إخوانه الذين أساءوا إليه، والتسامح معهم ﴿**قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(٢).

هذه مجموعة من القيم الإيجابية التي جسدها يوسف عليه السلام في حياته الشبابية، من جهة أخرى يتحدث لنا القرآن الكريم في مقابل ذلك عن السلوكيات السلبية التي تمثلت في سلوك إخوة يوسف، وهي:

١-الحسد، يقول تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ للسائلين * إذ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾(٣).

٢- التفكير في القتل والتخلص من يوسف: ﴿**اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِين * قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾(٤).

---

(١) سورة: يوسف، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة: يوسف، الآية: ٩٢.
(٣) سورة: يوسف، الآيتان: ٧-٨..
(٤) سورة: يوسف، الآيتان: ٩ - ١٠.

٣- الكذب، يقول تعالى: ﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[1].

وعندما يصور لنا القرآن الكريم سلوك أخوة يوسف الخاطئ، والقيم السلبية التي كانوا يحملونها، فإنما من أجل أن يبتعد الشباب في كل زمان ومكان عن هذه القيم السلبية الخاطئة التي تدمر حياة الشباب ومستقبلهم.

إن سورة يوسف وهي تركز على القيم الإيجابية والسلبية فإنها تريد أن ترسم صورة لما يحب أن يكون عليه الشباب دائماً، وهي قيم الحق والفضيلة والخير، والابتعاد عن سلوكيات الكذب والحقد والحسد، والتفكير في ارتكاب الجرائم والموبقات.

٤- إعمال العقل:

اهتم القرآن الكريم كثيراً ببيان أهمية العقل وحقيقته ومراتبه ودوره، فبه يستدل على الأشياء، وبه يميز بين الحق والباطل، والخير والشر، وله مكانه عظيمة في الفكر الإسلامي.

يقول العلامة الطباطبائي: «لو تتبعت الكتاب الإلهي ثم تدبرت في آياته وجدت ما لعله يزيد على ثلاثمائة آية تتضمن دعوة الناس إلى التفكر أو التذكر أو التعقل، أو تلقن النبي ﷺ

(١) سورة: يوسف، الآية: ١٧.

الحجة لإثبات حق أو لإبطال باطل

ولـم يأمر الله تعالـى عباده في كتابه ولا فـي آية واحدة أن يؤمنوا به أو بشيء مما هو من عنده أو يسلكوا سبيلاً على العمياء وهم لا يشـعرون، حتى أنه علل الشـرائع والأحـكام التي جعلها لهم مما لا سبيل للعقل إلا تفاصيل ملاكاته بأمور تجري مجرى الاحتجاجات»(١).

وإعمـال العقل يـؤدي إلى التفكر السـليم، والوصول إلى اتخـاذ المواقف الصحيحة، وهناك آيـات كثيرة في القرآن تحث الإنسـان على التعقل والتفكـر، بل يرى الإسـلام أن التفكير من أفضـل أنواع العبـادة، قال الإمـام الرضا عليه السلام: «أفضـل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته»(٢).

وقال الإمام علي عليه السلام: «الفكر مرآة صافية»(٣).

وقـال الإمـام الصـادق عليه السلام: «تفكر سـاعة خير مـن قيام ليلة»(٤).

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج٥، ص ٢١٨.
(٢) أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٦١، رقم٣، باب التفكر.
(٣) نهج البلاغة، ج٤، ص ٧٤٥، رقم ٣٦٥.
(٤) أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٦١، رقم٢، باب التفكر.

وإن قصة أصحاب الكهف نموذج مهم للتفكير والتعقل، وقد وردت قصتهم في الآيات من ٩ إلى ٢٧ من سورة الكهف، وطبقاً لما ورد في القرآن والأحاديث فإن عددهم كان سبعة، وكانوا يعيشون في عهد (دقيانوس) المولود سنة ٢٠١م والمتوفى سنة ٢٥١م والذي حكم الروم لثلاث سنوات سام فيها النصارى ويلاً وثبوراً.

وقد كان أصحاب الكهف من حاشية الملك ووزرائه، وقد روي عن الإمام علي عليه السلام: إن أصحاب الكهف كانوا كهولاً فسماهم الله فتية بإيمانهم.

وخلاصة قصة أصحاب الكهف طبقاً لما هو المنقول عن الإمام علي عليه السلام أنهم كانوا ستة نفر اتخذهم دقيانوس وزراءه، فبينما هم ذات يوم في عيد والبطارقة عن يمينه، والهراقلة عن يساره إذ أتاه بطريق فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيته، فاغتم لذلك حتى سقط التاج عن رأسه، فنظر إليه تلميخا فقال في نفسه: لو كان دقيانوس إلهاً كما يزعم إذاً ما كان يغتم ولا يفزع، ثم جمع بعدها الفتية وقال لهم: أطلت فكري في هذه السماء ومن أجرى فيها شمساً وقمراً، ومن زينها بالنجوم، ثم أطلت الفكر في الأرض... فأدركت أن لها صانعاً ومدبراً غير دقيانوس الملك، فقال له الفتية: بك هدانا الله تعالى من الضلالة إلى الهدى فأشر علينا فوثب تلميخا فباع تمراً من حائط له وركبوا

خيولهم وخرجوا من المدينة.

وطبعاً ليس من السهل ترك المناصب، إلا أن العقيدة والإيمان كانا من القوة بحيث تنكروا لجميع العلائق المادية وتوجهوا نحو الكهف بعد أن قطعوا مسافة طويلة ركوباً ومشياً على الأقدام، وهناك ناموا نومتهم ليستيقظوا بعد ٣٠٩ سنوات بقدرة الله ليجسدوا عظمة الإيمان والمعاد.[١]

وهكذا، يجب على الشباب أن ينموا في شخصياتهم صفة التعقل والتفكير حتى يستطيعوا مواجهة مغريات الثقافة المادية المعاصرة، فالشباب الذين يملكون صفة (إعمال العقل) يملكون البصيرة التي تنجيهم من الوقوع في الموبقات والمحرمات، يقول تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[٢].

أما من يتخلى عن عقله، وينساق وراء شهواته وغرائزه، فإنه يكون كالأنعام كما يعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا**

---

(١) ما يحتاجه الشباب، أحمد الصادقي، الناشر: ناظرين، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٤٦ - ١٤٧. وانظر تفاصيل القصة في كتاب (سفينة البحار) الشيخ عباس القمي، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ، ج ٧، ص ١٤٥.

(٢) سورة: الحج، الآية: ٤٦.

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2] فحتى لا يقع الشباب في دائرة (الغافلون) عن طريق الحق والخير والصلاح عليهم أن يُعْمِلوا عقولهم، وليفكروا فيما حولهم حتى لا يكونوا كالأنعام بلا عقل ولا تفكير!!

٥- الزواج المبكر:

من الأساليب والوسائل الوقائية المهمة التي حث القرآن الكريم عليها في مواجهة الثقافة المادية المنحرفة هو الزواج المبكر، لما له من فوائد عديدة كحماية الشباب والفتيات من الانحراف الجنسي، وتحقيق السكن النفسي، وحفظ الأخلاق، وسلامة السلوك، والصمود أمام المغريات والمثيرات الجنسية.

يحثنا القرآن الكريم على الزواج، يقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3] ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم

---

(١) سورة: الفرقان، الآية: ٤٤.

(٢) سورة: الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة: النور، الآية: ٣٢.

﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ولأن الزواج المبكر أفضل وسيلة للثبات أمام المغريات المادية، والإغراءات المثيرة، فقد حثنا النبي الأكرم ﷺ على المسارعة في الزواج، يقول ﷺ: «أيما شاب تزوج في حداثة سنه عجّ شيطانه: يا ويله! عصم مني دينه»[2]، وعنه ﷺ قال: «ما من شاب تزوج في حداثة سنه إلا عجّ شيطانه: يا ويله، يا ويله! عصم مني ثلثي دينه، فليتق اللَّه في الثلث الباقي»[3]، كما ورد عنه ﷺ أن من تزوج فقد أحرز نصف دينه، كقوله ﷺ: «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق اللَّه في النصف الباقي»[4].

وبالرغم من كل ذلك، فقد بدأ الشباب في العزوف عن الزواج المبكر بفعل التكاليف الباهظة للزواج في عصرنا، وبسبب القيم والسلوكيات التي تنم عن المفاخرة الاجتماعية، وكذلك وجود أنماط جديدة في الزواج كالحفلات المتنوعة، والولائم الكبيرة، والأثاث المبالغ فيه، والشروط المتعددة... وغير ذلك كثير!

وإذا ما أردنا تشجيع جيل الشباب على الزواج المبكر،

(١) سورة: الروم، الآية: ٢١.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص١١٧٩، رقم ٧٨٠٥.
(٣) ميزان الحكمة، ج٣، ص١١٧٩، رقم ٧٨٠٦.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص١١٧٩، رقم ٧٨٠٧.

فعلينـا أن نسـاهم في تيسـير أمور الـزواج، وخفـض التكاليف، وإلغـاء بعـض التقاليـد المكلفـة، وتشـجيع الـزواج الجماعي، وصناديـق الـزواج الخيرية..حتـى يتمكـن الشـباب أن يتزوجوا في سـن مبكرة مما يسـاعدهم على تجاوز مرحلة الشـباب وهي مرحلـة محفوفـة بالغرائـز والشـهوات القويـة دون الوقـوع فـي محاذير الفساد والانحراف والسقوط الأخلاقي.

٦- صناعة خطاب ثقافي مميز:

إن صناعة خطاب ثقافي متميز ومتطور ومرتكز على الرؤية القرآنية تعد وسـيلة وقائية مهمـة لمواجهة الغزو الثقافي الغربي، فجيـل الشـباب بحاجة لخطـاب ثقافي متناغم مع مـا وصل إليه مـن فكر ووعـي وبصيرة، وهـذا الخطـاب الثقافـي لا يمكن أن يكـون مؤثراً إلا إذا احتوى على عمق في المضمون وتجديد في الأسلوب والأداء.

وعندما نتمعن في القرآن الكريم نجد أنه اسـتخدم تقنيات متطـورة فـي مخاطبة الناس حتـى يقتنعوا بما يطرحـه القرآن من عقائـد وأفـكار، ويمكن أن نشـير إلى أبرز أسـاليب القـرآن فيما يلي:

أ- أسلوب الأسئلة والتساؤلات:

مـن اسـتعراض الآيـات الكريمـة التـي تناولـت الأسـئلة

نجدهـا مغايرة لما ألفناه في السـؤال والجواب، حيث أنه معلوم بأن السؤال يقصد به فقط الجواب على مضمون السؤال.

ولكن بلاغة القرآن وتفوقه البياني انتحت بالسـؤال منحى الهـدف والغاية والوسـيلة والحجـة والبرهان والدليـل، فوجدنا أسلوب الأسئلة في القرآن يهدف إلى: التنبيه والتحذير والإعداد للإجابـة، وإلـى التوبيـخ والسـخرية والاعتراف وإلـزام الحجة ومراعاة المسئول ويشير إلى الجزاء والحساب والطلب، والبحث عـن البراءة، والتأكيـد على الإيمان وعلى قدرة اللـه والتنبيه إلى المحظـور والإعلام والتهديد والوصـول إلى اليقين والاطمئنان والإشـارة إلى سـؤال المختـص، والاسـتنكار والتحسـر، وإلى المعرفـة والاعتـراف والمحادثة والمسـامرة وإلى تعجل الأمور والمكابرة ومراعاة الإجابة[1].

وقد ورد أسـلوب السـؤال والتسـاؤل والإجابـة عليها في العديد من السور الشريفة، كقوله تعالى:

١ - ﴿يَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الأهِلَّـةِ قُـلْ هِـيَ مَوَاقِيـتُ لِلنَّـاسِ وَالْحَجِّ﴾[2]

٢ - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ

---

(١) الإعلام في القرآن الكريم، د. محمد عبد القادر حاتم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٠م، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) سورة: البقرة، الآية: ١٨٩.

وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1].

٣- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

٤- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

٥- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4].

٦- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[5].

---

(١) سورة: البقرة، الآية: ٢١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.
(٤) سورة البقرة ، الآية:٢٢٢.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٤.

٨- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

٩- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

١٠- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3].

١١- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾[4].

١٢- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً﴾[5].

١٣- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[6].

وهذا الأسلوب مهم جداً في استقطاب شريحة الشباب،

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٤) سورة طه، الآية: ١٠٥.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٨٣.
(٦) سورة النازعات، الآية: ٤٢.

الذيـن يكثـرون مـن التسـاؤلات حـول كل الأمور، فاسـتخدام الخطـاب الثقافي الإسـلامي المعاصـر لهذا الأسـلوب القرآني مؤثر جداً في الإقناع والتفاعل.

ب- أسلوب القصة:

القصة بأسلوبها الفني وما تستدعيه في النفس، كانت وسيلة من وسـائل تطهير النفس لتسمو إلى الرؤية والإدراك الوجداني، والقصة القرآنية التي اسـتخدمت كأسـلوب من أساليب الإعلام والدعوة القرآنية، خاطبت العقل والشـعور جميعاً. وفتحت أمام قلب الإنسـان وعقلـه أبواب الإدراك واليقيـن؛ ومن الواضح أن أهداف الأسلوب القصصي في القرآن، يتصل في غالبه بالجانب الإيماني والديني، وإن دعت أحياناً إلى غايات فاضلة وخيرة من السلوك التي يتحلى به المؤمنون والمتقون.

وهي تمتاز بجمال فني معجز، سـواء في أسلوبها اللغوي، أو بنيانها الفني وتصاعد الأحداث والمواقف؛ ويلاحظ في كثير مـن القصـص القرآني أن تبـدأ القصة بذكر ملخصهـا ثم تعرض بعـد ذلك تفصيلاتها مـن البداية حتى النهاية، وهـو تناول يؤدي إلى التشـويق وإثارة انتباه المستمعين واستدعاء مشاعرهم، وفي أحيـان أخرى تبدأ القصـة بتوضيح المغزى أو العاقبة، ثم تسـرد التفصيـلات؛ لتحقيـق نفـس الأهـداف المتصلـة بإثـارة الانتباه والتشـويق مع ما فـي ذلك من تكثيف للهـدف النهائي الديني أو

السلوكي للقصة بتأكيده في شعور الإنسان[١].

وفي سـورة يوسف قصّ القرآن الكريم قصة يوسف بأبدع فـن قصصـي، وعندما تحـدث القرآن عـن محاولة زليخـا امرأة العزيز فعل الفاحشـة مع يوسـف نجد التعابير القرآنية يسـتخدم أدق الألفاظ وأكثرها تعبيراً عن المراد، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره لتلك القصة:

بأسـلوب معجـب؛ الدقّـة فـي البيان مـع المتانـة و العفّة، دون أن يغـضّ الطرف عن ذكر الوقائع، أو أن يظهر العجز، و قد استعمل جميع الأصول الأخلاقية و الأمور الخاصّة بالعفّة.

و نعـرف أن أخطـر ما في هـذه القصّة ما جـرى في «خلوة العشق» و ما أظهرته امراة العزيز بابتكارها و هواها.

والقـرآن يتنـاول كلّ ما جرى من حـوادث و يتحدّث عنها دون أن يظهر أقل انحراف من أصول العفّة حيث يقول: ﴿**وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[٢].

والمسائل التي تسترعي الانتباه في هذه القصّة ما يلي:

---

(١) الإعلام في القرآن الكريم، د. محمد عبد القادر حاتم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، طبع عام ٢٠٠٠م، ص ٢٥٥.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

١ - كلمـة «راود» تسـتعمل فـي مكان يطلب فيـه أحد من الآخر شـيئاً بإصـرار ممزوجـاً بالترغيب و اللين، لكـن ما الذي أرادته امرأة العزيز من يوسف؟!.. بما أنه كان واضحاً فقد اكتفى القرآن بالكناية و التلميح دون التصريح!.

٢ - إن القـرآن هنا لم يعبّر عن امرأة العزيز تعبيراً مباشـراً، بـل قال: ﴿**الَّتِي هُـوَ فِي بَيْتِهـا**﴾ ليقترب من بيان العفّة و اسـدال الحجاب، كما جسّد معرفة يوسف للحقّ وجسّد مشاكل يوسف أيضاً في عدم التسليم إزاء من كانت حياته في قبضتها.

٣- ﴿**غَلَّقَـتِ الْأَبْـوابَ**﴾ التـي تـدلّ علـى المبالغـة وأن الأبواب جميعاً أوصدت بشـدّة، (وهـذا تصوير من هذا الميدان المثير).

٤ - جملـة ﴿**هَيْـتَ لَكَ**﴾ تشـرح آخـر كلام امـرأة العزيز للبلـوغ إلـى وصال يوسـف، ولكنّها في عبارة متينـة ذات مغزى كبير و ليس فيها ما يشير إلى تعبير سيئ.

٥ - ﴿**مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَـنَ مَثْوايَ**﴾ التي قالها يوسف لتلك المراة الجميلة، معناها كما يقول اكثر المفسّرين: إني ألتجئ إلى اللّه فإنّ عزيز مصر صاحبي وسـيّدي وهو يجلّني ويحترمني ويعتمـد علـيّ، فكيف أخونـه؟! و هذا العمل خيانـة وظلم ﴿**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ وبهذا توضّح الآية سـعي يوسـف إلى إيقاظ العواطف الإنسانية في امراة العزيز.

٦- جملـة ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ**﴾ ترسـم- من جهة- تلك الخلوة بدقّة، بحيث لو أن يوسف لـم يكن لديه مقـام العصمة أو العقل أو الإيمان لكان قد وقع في «الفخّ».

ومـن جهـة أخرى ترسـم انتصـار يوسـف أخيراً فـي هذه الظروف على شيطان الشهوة الطاغي.. بأسلوب رائع.

الطريف هنا أن الآية اسـتعملت كلمة «همّ» فحسب، «أي أن امرأة العزيز صمّمت من جهتها و لو لم ير يوسـف برهان ربّه لصمّم من جهته أيضاً، ترى هل توجد كلمة أكثر متانة للتعبير عن (القصد و التصميم) أفضل من هذه؟!»[1].

وهذا الأسـلوب القصصي الذي انتهجه القرآن الكريم في بعض سوره الشريفة أسـلوب يستهوي شريحة مهمة من الناس، وخصوصاً جيل الشـباب، لذلك نلاحظ إقبال عدد من الشـباب على شـراء القصص والروايات، وخصوصاً التي تعالج مشـاكل وقضايا الشـباب، لذلك ينبغي الاستفادة في مخاطبة الشباب من أسـلوب القصة في عملية التأثير والإقناع والاستقطاب لشريحة الشباب.

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ج٧، ص١٦٩-١٧٠.

ج- أسلوب الحوار:

ورد الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع وهي: قوله تعالى: ﴿..**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[3]، ويظهر من هذه الثلاثة المواضع أن الحوار فيها هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين والأخذ والرد فيه.

وقد عبّر القرآن عن الحوار أحياناً بالجدال بالتي هي أحسن كما في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[5]، وقد ورد لفظ الجدل في القرآن تسعاً وعشرين مرة

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٧.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

أغلبها في سياق الذم، وذلك عندما يكون الجدل لإلزام الخصم وليس لإظهار الحق، فالجدل -غالباً- يعبر عن شدة الخصومة واللدد فيها مع القدرة عليها، والتعصب للرأي وإن كان باطلاً.

أما أسلوب الحوار المنطقي، والقائم على الدليل والبرهان والهادف إلى الإقناع والتأثير بالدليل القرآني، والحجة والدليل الساطع فهذا أمر مطلوب ومهم.

وأسلوب المحاورة أسلوب اتبعه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[1].

وهذا الأسلوب مؤثر في التأثير على جيل الشباب، حيث يتفاعل الشباب مع أسلوب الحوار المنطقي، وينفر من فرض الآراء والأفكار عليه، لأن جيل الشباب يعتز بآرائه ومعتقداته وقناعاته، أما محاورته في ذلك فهو مما يفيد في التأثير والإقناع والتغيير.

د- أسلوب ضرب الأمثال:

استخدم القرآن الكريم أسلوب ضرب الأمثال، وذلك للمزيد من التشويق والإثارة والانتباه والإقناع، فضرب الشجرة الطيبة مثلاً للكلمة الطيبة، في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي**

---

(١) سورة: البقرة، الآية: ٢٦٠.

السَّمَاء﴾[1]. كما ضرب الشجرة الخبيثة مثلًا للكلمة الخبيثة في قوله تعالى: ﴿**وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾[2].

وضرب مثلاً بالذبابة والعنكبوت فيمن اتخذ معبوداً له من دون الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾[3]. وقوله تعالى عن العنكبوت: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[4]. ونظائر ذلك في القرآن الكريم كثير، والهدف منه أن تنفعل النفوس والقلوب، وتثير العقول والأفكار، وهو أسلوب قرآني بليغ في التأثير والتغيير الثقافي نحو الثقافة الإسلامية الأصيلة.

كما استخدم القرآن الكريم أساليب أخرى للتأثير على الناس كأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب الرجاء والخوف، وأسلوب التدرج في بعض الأحكام... إلى غير ذلك من الأساليب القرآنية في الدعوة إلى الله، وتغيير المجتمع، وبناء

---

(١) سورة: إبراهيم، الآية: ٢٤.
(٢) سورة: إبراهيم، الآية: ٢٦.
(٣) سورة: الحج، الآية: ٧٣.
(٤) سورة: العنكبوت، الآية: ٤١.

الأفراد وفق المنهج الإلهي.

وهذا ما يجب أن يتحلى به الخطاب الإسلامي المعاصر، بأن يقدم خطاباً عميق الجذور، قوي الحجة والبرهان، متميز في الأسلوب والأداء حتى يتفاعل الشباب مع ما يطرحه الخطاب الإسلامي، ويكون وقاية لهم من التأثر بالثقافة المادية المنحرفة.

ثانياً- أساليب علاجية

للثقافة المادية المعاصرة تأثيراتها المختلفة على الجيل الجديد، وإذا كان هناك من الشباب من يستطيع مقاومة إغراءات الثقافة المادية المنحرفة، فإن قسماً من الشباب يتأثرون بتلك الثقافة في بعدها السلبي، وينساقون مع ما تطرحه من أفكار ورؤى، وسلوكيات وأنماط حياة، والأخطر هو أن يدمن بعض الشباب على الفساد والانحراف بمختلف صوره، وهو الأمر الذي يؤدي إلى سلوك طريق الشر والفساد.

ولهؤلاء الشباب يقدم لنا القرآن الكريم مجموعة من الأساليب والوسائل العلاجية المهمة لاحتواء هؤلاء الشباب، وإرجاعهم إلى طريق الحق والخير والفضيلة.

ونشير إلى أبرز الأساليب العلاجية في مواجهة الثقافة المادية المعاصرة ضمن النقاط التالية:

١- الرجوع إلى الدين:

قد ينحرف بعض الشباب في بداية شبابهم، لكنهم سرعان ما

يعودون إلى القيم والمبادئ الدينية، ففطرة الإنسان تدعوه إلى ذلك، يقول تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

ثم إن تفاعل الشباب مع الدين وما يدعو إليه من قيم ومبادئ ومثل وأخلاق، أمر قوي جداً وثابت وأصيل في شخصية الشباب، والانحراف قد يكون مجرد أمر عابر، ثم سرعان ما يخرج منه الشباب إلى رحاب الدين وفضائه الكبير.

وبعض الشباب قد يقعون في برهة من شبابهم في مستنقع الفساد والانحراف الثقافي والأخلاقي، ثم يعودون خوفاً من العقاب الإلهي الذي ينتظرهم في يوم الحساب.

والإنسان بحاجة للانتماء إلى الدين، وإلى الحفاظ على هويته الدينية؛ حتى يستطيع إشباع الغريزة الدينية المحفورة في أعماقه، ومن يختار من الشباب، وغيرهم غير الإسلام فسيكون من الخاسرين يوم لا ينفعهم فيه الندم، يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2] فالدين المقبول عند الله تعالى هو الإسلام لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾[3].

---

(١) سورة: الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة: آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) سورة: آل عمران، الآية: ١٩.

وللدين أثره الفاعل في ثقافة وسلوك وقيم وأخلاق الإنسان، وبمقدار ابتعاده عن الدين يبتعد عن تلك القيم والأخلاق والسلوك والثقافة، إلا أن ضميره الباطني يظل يؤنبه لابتعاده عن ذلك، حتى يعود إلى الحق والفضيلة والصلاح.

من هنا على المربين والعلماء والآباء أن يستثمروا هذا الشعور عند الشباب، ويخاطبوهم بالخطاب الديني الواعي، الذي يخاطب عقولهم ووجدانهم وعواطفهم مما يؤدي إلى رجوعهم للدين، بل والتحول إلى دعاة مخلصين له.

لذلك من المفيد جداً مخاطبة الشباب بخطاب ديني ملائم لمستوى الفهم والإدراك والوعي لديهم، وتدعيمه بالآيات الشريفة، والأحاديث الصحيحة، بما يقنع الجيل الجديد بالتمسك بالدين وثقافته، والابتعاد عن الثقافة المادية المنحرفة التي لا تجر إلا إلى الشقاء والتعاسة والتعب النفسي.

والاستفادة من أسلوب الثواب والعقاب، الجنة والنار، الترهيب والترغيب مهم جداً في علاج الانحرافات والمفاسد التي يقع فيها بعض الشباب بفضل تأثير الثقافة المادية المعاصرة في جوانبها السلبية والمنحرفة.

٢- التوبة من كل ذنب:

إن أكثر الذنوب والانحرافات يقوم بها الإنسان في مرحلة

الشـباب، هذه المرحلة الحساسة ينسـاق فيها بعض الشباب مع ما تطرحـه الثقافـة المادية المعاصرة مـن أفكار وسـلوكيات منحرفة ومحرمـة، كالعلاقات غير المشـروعة بين الجنسـين، أو الشـذوذ الجنسـي، أو معاقـرة الخمـور والمسـكرات، أو الإدمـان علـى المخدرات، أو استماع الأغاني الهابطة، أو المتاجرة في الحرام... وغيرها من الانحرافات السلوكية أو الأخلاقية أو الفكرية.

ولأن الإنسان معرض للخطأ، وارتكاب الذنوب، واقتراف الموبقات، فإن من رحمة الله تعالى أن فتح لنا باباً سـماه التوبة، يقـول الإمام السـجاد عليه السلام فـي مناجـات التائبيـن: «إلهي أنت الـذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سـميته التوبة، فقلت ﴿**تُوبُوا إِلَـى اللَّـهِ تَوْبَـةً نَّصُوحـاً**﴾[1]، فمـا عذر مـن أغفل دخـول الباب بعـد فتحه»[2]. ويقـول عليه السلام في بداية مناجاته: «(إلهي ألبسـتني الخطايـا ثـوب مذلتـي، وجللنـي التباعـد منك لباس مسـكنتي، وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي، ويا سؤلي ومنيتي»[3].

وهـذا الباب المفتـوح أمام الشـباب في كل وقـت عليهم

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٣٨٤.
(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٣٨٢.

الاستفادة منه، بالرجوع إلى الله تعالى، والاستغفار، والتوبة النصوح، فهذا هو طريق التكفير عن الذنوب، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً**﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ**﴾[4] فالمطلوب هو الاستغفار أولاً ثم التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

ومهما اقترف بعض الشباب من المعاصي والذنوب فعليهم أن لا يقنطوا من رحمة الله، يقول تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[5]. ويقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[6] ويقول تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[7].

---

(١) سورة: التحريم، الآية: ٨.
(٢) سورة: النور، الآية: ٣١.
(٣) سورة: هود، الآية: ٩٠.
(٤) سورة: هود، الآية: ٣.
(٥) سورة: الزمر، الآية: ٥٣.
(٦) سورة: آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٧) سورة: طه، الآية: ٨٢.

وفتح باب التوبة للعاصين من نعم الله تعالى على عباده، إذ يعطيهم الفرصة تلو الأخرى للعودة إلى طريق الحق والصلاح، والفوز بالفلاح في الآخرة، وأضف لذلك أن التوبة يعطي الأمل لكل شاب انحرف وعصى، وأن أمامه طريق للعودة، والابتعاد عن طريق الانحراف والفساد.

وإذا كانت التوبة مطلوبة من كل الناس، فإنها من الشباب أحسن وأجمل، فقد روي عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «والتوبة حسن ولكن في الشباب أحسن»[1] فالشاب عندما يتوب وهو في عنفوان شبابه، ويقبل على طاعة الله تعالى، ويبتعد عن المعاصي والمحرمات والموبقات، فإنه يكون محبوباً عند الله تعالى، فقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يحب الشاب التائب»[2] وقوله ﷺ: «ما من شيء أحب إلى الله تعالى من الشاب التائب»[3].

(١) كنز العمال، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م،ج١٥، ص ٨٩٦، رقم ٤٣٥٤٢.
(٢) كنز العمال، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج٤، ص ٢٠٩، رقم ١٠١٨٥.
(٣) كنز العمال، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج١٥، ص ٧٨٦، رقم ٤٣١٠٨.

ثمة نقطة جديرة بالانتباه في موضوع التوبة، وهي ما ترتبط بمسألة الانحرافات العقائدية والفكرية، إذ نجد أن بعض الشباب - ولأسباب مختلفة - ينحرفون عقائدياً، وفكرياً، وثقافياً، وهذه الانحرافات لا تقل عن الانحرافات السلوكية والأخلاقية، وعلى الشباب في هذه الحالة الرجوع إلى العقائد والأفكار الصحيحة، والتوبة من أية انحرافات قد تجعل الشاب في معصية الله تعالى بصورة كبيرة، بل إن بعض الانحرافات العقائدية قد تجر إلى الردة عن الإسلام، يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[١]

مسألة أخرى في غاية الأهمية وهي: إن بعض الذنوب مرتبطة بحقوق الناس، وفي هذه الحالة لا بد من إرجاع حقوق الناس إليهم، أو تعويضهم عما اقترفه بحقهم، ولا يكفي في هذه الحالة مجرد الاستغفار وإن كان مطلوباً، لكن أيضاً تتطلب التوبة فيما يتعلق بارتكاب محرمات ضد أموال أو أرواح الآخرين أن يعوضهم عما أصابهم من أضرار، وفي ذلك تفصيل مذكور في كتب الفقه والأخلاق.

بقي أن نقول: إن على كل شاب اقترف المعاصي والذنوب والموبقات، أن يسارع إلى التوبة النصوح قبل أن يباغته الأجل،

---

(١) سورة: البقرة، الآية: ٢١٧.

ولات حين مندم!

٣- تعديل الغرائز والميول:

عند كل واحد منا غرائز وميول متنوعة، ولهذه الغرائز والميول أثر قوي في سلوك الإنسان وتصرفاته، لكن الشيء الجدير بالانتباه في هذا الأمر هو إمكانية تعديل الغرائز والميول التي لدى كل إنسان، فشخصية الإنسان ليست شخصية مغلقة غير قابلة للتغير، بل العكس هو الصحيح، فإمكانية تعديل الغرائز وترويضها، وكذلك تعديل الميول وتحسينها أمر ممكن في كل مراحل عمر الإنسان، وبالخصوص مرحلة الشباب.

ثم «إن النتائج الحديثة التي توصلت إليها علوم السلوك تبشر بمرونة السلوك والشخصية لدى بني البشر وقدرتها على التغير لأنها ليست منظومة مغلقة لا يمكن التغلغل فيها بل أنها منظومة متفتحة يسهل تغييرها. إن ظاهرة استحداث الشخصية تعد من بديهيات حقائق علوم السلوك»[١].

إن تغير السلوك كغيره من الظواهر التربوية عملية تمر بمراحل خاصة حتى تبلغ الغاية المنشودة، وأول خطوة تتخذ في هذا المضمار هي «الوعي الذاتي» أي أن تتكون لدى الشباب

---

(١) الشباب والقوة الرابعة للحياة، د. محمد رضا شرفي، دار الهادي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ص ٥٤.

صـورة واضحـة ومعينة عن نفسـه وأن يعلم بدقة أي سـلوك هو المرجـو إزالتـه من لوحة شـخصيته وأي سـلوك يسـتبدل به. إن اسـتخدام الإرادة هـو الخطـوة الثانية في هذا السـياق، فكثير من الشـباب تواق لتغيير سـلوك خاص من شـخصيته إلا أنه يفشـل فـي إنجاز ذلـك في مرحلة التطبيق بسـبب ضعـف إرادته، وإلى جانـب ذلك يلعب الآخـرون كذلك دوراً هاماً فـي مجال إعداد الأرضية لتغيير سـلوك الشباب، فتكون عملية تغير السلوك ثمرة تلاقح مساعي الشباب والمحيطين بهم وهي نتاج يلعب الشباب أنفسهم في استثماره الدور الأكثر فاعلية من غيرهم[1].

وتعديـل الغرائـز الضاغطـة علـى الإنسـان وسـيلة مهمـة لعـلاج حـالات الانحـراف بمختلف أشـكاله وصـوره وألوانه، ولـو أخذنا مثلاً بالغريزة الجنسـية باعتبارها من أقوى الغرائز في شـخصية الإنسـان، خصوصاً الشباب، فإن الإسـلام يعالج ذلك مـن خلال الدعوة إلى الزواج، يقول تعالـى: ﴿**فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَـاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ**﴾[2]. وعند العجز عن الزواج لأي سـبب كان فـإن تعاليم الديـن تدعو للصوم كوسـيلة لتهدئة الغريزة الجنسـية، فقد روي عن الرسـول الأعظم ﷺ أنه قال: «يا معشـر الشـباب من اسـتطاع منكم الباه فليتـزوج، فإنه أغض

(١) الشباب والقوة الرابعة للحياة، د. محمد رضا شرفي، دار الهادي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٥٤.
(٢) سورة: النساء، الآية: ٣.

للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليصم، فإن الصوم له وجاء»[1] والباءة هي الزواج، ومع عدم الاستطاعة المداومة على الصوم لأنه يخفف من الشهوة، ويقوي الإرادة، ويساعد على الاستقامة.

ولو أخذنا مثالاً آخر هو الفراغ الذي يؤدي إلى الوقوع في الكثير من الانحرافات والسلوكيات الخاطئة، فإن التعاليم الدينية تدعو لإشغال الوقت بالأمور المفيدة والنافعة، يقول تعالى: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ**﴾[2].

والشباب بما يملكون من حيوية في مختلف الأبعاد والجوانب، فلدى الشباب طاقة كبيرة عقلية ونفسية وجسدية، ولديهم القابلية والاستعداد للعمل والنشاط والفاعلية والعطاء، فإذا ما وضعت برامج للشباب تملأ فراغهم فإن ذلك يساعد على بناء شخصياتهم، وتعديل ميولهم نحو الفعل الإيجابي، وإلا تحول الفراغ عندهم إلى معول هدم ودمار لهم وللمجتمع، وخسارة كبيرة لمستقبل الأمة وآمالها.

٤- التركيز على عيوب الثقافة المادية:

إن انبهار بعض شبابنا بالثقافة المعاصرة ناتج من النظر

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٤، ص ١٥٣، رقم ١٦٣٥٠. وصحيح البخاري، كتاب النكاح.
(٢) سورة: الشرح، الآية: ٧.

إلى بعض جوانبها دون رؤية عيوبها و ثغراتها وسلبياتها الكثيرة خصوصاً في جانب مكارم الأخلاق ومنظومة القيم والمثل.

وجيل الشباب غالباً ما ينظرون للأمور نظرة مستعجلة، ويتأثرون بالظواهر دون التعمق في البواطن، وبالنظر إلى الثقافة المادية المعاصرة فإن بعض الشباب يتأثرون بالفلاشات القوية الصادرة منها، دون إمعان الفكر، وإعمال العقل في عيوب وثغرات هذه الثقافة المادية المضللة.

وأبرز سيئات الثقافة المادية المعاصرة هو تركيزها على الماديات وتجاهل الروحانيات والمعنويات، لذلك فليس من المستغرب أن نجد في الغرب وزراء ورجال أعمال كبار ينهون حياتهم بالانتحار لأن قلوبهم خالية من الإيمان، والقيم المعنوية!

ومن عيوب الثقافة المعاصرة هو إباحتها لكل ما يشبع رغبات الإنسان الجنسية ولو من خلال الشذوذ الجنسي، أو العلاقات العاطفية بين الجنسين خارج إطار الزواج، أو التشجيع على إقامة أشكال جديدة للأسرة خارج الإطار الشرعي والقانوني.

ثم إن هذه الثقافة تربط الإنسان بالدنيا فقط، ولا تنظر إلى الآخرة، وهو ما يدعو إلى الفساد والانحراف والتحلل، لأنه لا يوجد - في نظرهم - عقاب آخر في يوم الجزاء؛ بل ولا معاد حتى يعاقبوا فيه!

وأيضاً لا تربط الإنسـان إلا بقوة المادة متجاهلة قوة مالك السماوات والأرض، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

ويخاطـب القـرآن الكريـم الذيـن يتبعـون مـا لا يملكون لأنفسـهم شـيئاً، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِـهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِـهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَـرّاً﴾[2] ويقـول تعالى: ﴿قَـالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِـن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[3].

فلينظر الشباب الذين تأثروا بالثقافة المادية المعاصرة إلى سـيئاتها وعيوبهـا وثغراتها، ولنوضـح لهم ذلك، حتـى يرجعوا إلى الثقافة الإسـلامية الأصيلـة، القائمة على التـوازن بين الدنيا والآخـرة، العلـم والعمـل، الماديـات والمعنويـات، الحـلال والحرام، العاطفة والعقل.

٥- إيجاد البدائل:

لا يكفي تقديم النقد لمـا تقدمه الثقافة المادية المعاصرة، بل يجب تقديـم البدائل الثقافية والمعرفيـة للجيل الجديد حتى

(١) سورة: الأنعام، الآية: ٦٣.
(٢) سورة: الرعد، الآية: ١٦.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦٦.

يمكـن إقناعـه بالثقافـة الإسـلامية، ويتطلـب ذلـك التجديد في المحتـوى والمضمـون من جهـة، والأسـلوب والأداء من جهة أخـرى بحيـث يمكـن للشـباب التفاعـل مع مـا يقـدم إليهم من منتجات ثقافية ومعرفية.

ويجـب أن يسـتفاد مـن كل الوسـائل الحديثة فـي التبليغ للدعـوة الإسـلامية كالتلفـاز والمذيـاع والموبايـل والإنترنت، ويلزم أن يراعى في الثقافة الإسلامية التي تقدم للشباب التأصيل القرآني لها، والالتزام بالصدق والأمانة والموضوعية والمنهجية العلمية.

ومـن حيـث الشـكل والأداء ينبغي اتباع أحدث الوسـائل والأسـاليب فـي مجـالات الإخـراج، والمونتـاج، والتصويـر، والبث، والتوزيع، والأرشفة.

وعندما نتمعن في القرآن، سنجد التأكيد على أهمية الكلمة ومكانتها وتأثيرها، وفي هذا المجال نشير إلى قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَـرَ كَيْفَ ضَـرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَـجَرةٍ طَيِّبَـةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَـا فِي السَّمَاء * تُؤْتِـي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِـإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّـهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّـرُونَ**﴾[1]. كما أن للكلمة الخبيثة دورها السـلبي في التأثير على المجتمع والأفـراد، يقول تعالى: ﴿**وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا**

(١) سورة: إبراهيم، الآيتان: ٢٤ – ٢٥.

مِـن قَـرَارٍ * يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَـوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾[١].

والثقافـة الإسـلامية الأصيلة كالشـجرة الطيبـة التي تؤتي نتائـج طيبـة فـي كل وقت، أمـا الثقافـة الماديـة المنحرفـة فهي كالشجرة الخبيثة لا ثبات لها ولا بركة ولا فائدة، فلنقدم للشباب الثقافـة الإسـلامية الأصيلة والمؤصلة قرآنياً، والتي سـيكون لها ثمـار طيبة، وآثار حسـنة، فالشـباب وإن انحـرف بعضهم، لكن ارتباطهم العاطفي والوجداني بالدين قوي وعميق.

(١) سورة: إبراهيم، الآيتان: ٢٦ – ٢٧.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١- القرآن الكريم.

٢- **ابن منظور**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣- **ابن نبي**، مالك، **شروط النهضة**، دار الفكر، دمشق - سوريا، طبع عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٤- **الأحسائي**، محمد بن علي بن إبراهيم المعروف بابن أبي جمهور، **عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية**، مطبعة سيد الشهداء، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥- **أعضاء هيئة التدريس**، إعداد؛ **الطفل والشباب في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية - مصر، طبع عام ٢٠٠٢م.

٦- **بـور**، همت سـهراب، **الشـباب في عاصفة الغرائـز**، ترجمة: لجنة الهدى، دار الهـادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٧- **الجمال**، راسم محمد، **الاتصال والإعلام في الوطن العربي**، مركـز دراسـات الوحدة العربيـة، بيروت - لبنـان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

٨- **حاتـم**، محمـد عبـد القـادر، **الإعلام في القـرآن الكريـم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٠م.

٩- **حجازي**، مصطفى، **الشـباب الخليجي والمسـتقبل: دراسـة تحليلية نفسـية اجتماعية**، المركـز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

١٠- **الحر العاملي**، محمد بن الحسن (المتوفى سنة ١١٠٤هـ)، **تفصيـل وسـائل الشـيعة إلـى تحصيـل مسـائل الشـريعة**، مؤسسـة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١١- **حوى**، محمد سـعيد، **صناعة الشباب**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

١٢- **الراغـب الأصفهاني**، أبو القاسـم الحسـين بـن محمد (ت ٥٠٢ هــ)، **المفـردات فـي غريـب القـرآن**، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٣- **الرضـي**، الشـريف، **نهج البلاغة للإمـام علي بن أبي طالب** عليه السلام، شـرح الشـيخ محمد عبده، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٤- **الري شهري**، محمد، **ميزان الحكمة**، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٥- **زنجير**، عبد الله، **الإعلام عالم**، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٦- **زين العابدين**، الإمام علي بن الحسين، **الصحيفة السجادية الكاملـة**، تقديم السـيد محمد باقر الصـدر، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٧- **شرفي**، محمد رضا، **دنيا المراهقات**، دار النبلاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٨- **شـرفي**، محمد رضا، **الشباب وأزمة الهوية**، ترجمة: زهراء طبوري يكانه، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ - ٢٠٠٣م.

١٩- **شـرفي**، محمد رضا، **الشباب وأزمة الهوية**، ترجمة: زهراء طبوري يكانه، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠- **الشـيرازي**، ناصر مـكارم، **الأمثـل فـي تفسـير كتـاب الله المنـزل**، مؤسسـة البعثة، بيـروت - لبنـان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢١- **الصادقي**، أحمد، **ما يحتاجه الشباب**، ترجمة: علي الهاشمي، الناشر: ناظرين، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٢- **الطباطبائي**، السيد محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٣- **الطبرسي**، أبو علي الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٤- **الطريحي**، فخر الدين (ت ١٠٨٦هـ)، **مجمع البحرين**، تحقيق السيد: أحمد الحسيني، مكتب النشر للثقافة الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
٢٥- **الفراهيدي**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، **كتاب العين**، مؤسسة دار الهجرة، قم - إيران، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
٢٦- **فلسفي**، محمد تقي، **الشاب بين العقل والعاطفة**، ترجمة: علي حسين الأسدي، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٧- **القائمي**، علي، **دنيا الفتيات المراهقات**، دار النبلاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٨- **الكليني**، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨هـ)، **الكافي**، تحقيق:

محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٩- **لطفي**، طلعت إبراهيم، **الأسرة ومشكلة العنف عند الشباب: دراسة ميدانية لعينة من الشباب في جامعة الإمارات العربية المتحدة**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٣٠- **المجلسي**، محمد باقر بن محمد تقي، **بحار الأنوار**، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣١- **مغنية**، محمد جواد، **فقه الإمام جعفر الصادق... عرض واستدلال**، مؤسسة السبطين العالمية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣٢- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، **الموسوعة العربية العالمية**، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٣- **النوري الطبرسي**، ميرزا حسين، **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٤- **الهندي**، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٥- **اليوسـف**، عبدالله أحمد، خصائص الشـباب: من أجل أن يعرف الشباب أنفسهم، مطابع الوفاء - الدمام، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

ثانياً: صحف ومجلات ومواقع إنترنت:

١- صحيفة الحيـاة، الجمعة ١٧ تموز (يوليو) ٢٠٠٩م الموافق ٢٤ رجب ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٩٠٥، الصفحة الأخيرة.

٢- صحيفـة الحيـاة، الأربعـاء ٧ كانـون الثاني (ينايـر) ٢٠٠٩م الموافق ١٠ محرم ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٧١٤.

٣- مجلة العلـوم والتقنية، الرياض، العدد ٦٥، محرم ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص٢٠.

٤- موقـع www.saaid.net، موضـوع المراهقـة: خصائـص المرحلة ومشكلاتها.

الفهرس

للتواصل مع المؤلف

المملكة العربية السعودية - المنطقة الشرقية ص. ب: ٨٤١ القطيف ٣١٩١١	✉
٠٠٩٦٦٥٠٣٨٤٤٩٩١	📱
البريد الإلكتروني: alyousif50@gmail.com الموقع على الإنترنت: www.alyousif.org	💻